صانع الذهب وقصص أخرى

أعضاء منتدى التكية الأدبي

صانع الذهب وقصص أخرى/ قصص

أعضاء منتدى التكية الأدبي

الطبعة الأولى ، ٢٠١١



دار اكتب للنشر والتوزيع

١٠ شارع عبد الهادي الطحان، المرج الغربية

موبايل :٠١١٠٦٢٢١٠٣٠

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

رقم الإيداع : ٢٠١١ /٢٢٦٦

I.S.B.N: ٩٧٨-٩٧٧-٤٨٨-١٥٣-٦

صانع الذهب

و

قصص أخرى

قصص

منتدى التكية الأدبي

الطبعة الأولى

٢٠١١



دار اكتب للنشر والتوزيع



أقلام منتدى التكية

القلم المغربي: عبد العزيز أبو الـميراث

ولاء نصر

روان عبد الكريم

مصطفى اليماني

فاطمة الصباحي

القلم ذو الـ ١٢ عاما: مؤمن وهدان

تعليق الكاتب الشاب د: أحمد خشبة



تعليق

تعتبر مجموعه صانع الذهب نموذجا معبرا عـــن الأدب العـــربي المعاصر، فبعد فترة من سيطرة الأدب الواقعي على الساحة الأدبية، بدأت ميول الكتاب والجمهور تتجه نحو ألوان أدبية جديدة ناشـــئة عربيا، وسط ذائقة عربية لا تزال في طور النمو.

تحتوي المجموعة على أعمال أعجبتني للغاية وقد أعتبرها فـــذة في مجالها -وبخاصة الفانتازية منها-

فالقصة القصيرة تعتبر تحديا قويا لكاتبها حين يقرر العروج على الآداب العربية الناشئة، وفي مقابل ذلك يستطيع من خلال تجربـــة كتابية لا تستمر طويلا أن يكتسب خبرات كثيرة في تلـــك الآداب مقارنة بتجارب الرواية فيها، والتي قد يتراوح زمن التجربة خلالهـــا لسنوات، مما يساعده على تنمية قدراته في تلـــك الآداب في ظـــل غياب النماذج العربية الحديثة التي يمكن الاحتـــذاء بهـــا في تلـــك الكتابات مقارنة بما هو عليه الحال في الأدب الواقعي.

ومع هذا المستوى الرائع للمجموعة، التي تحظى بتنوع جيـــد في الألوان داخلها، لازالت تلك الألوان الناشئة تعاني من بعض مشاكل البدايات، مثل الارتباط الوثيق بالواقعية وتداخل الألوان الأدبية مـــع بعضها البعض في العمل الأدبي الواحد.

فمع وجود أدب فانتازي يبتعد كل البعد عن الواقعيـــة، وأدب الخيال العلمي وثيق الصلة بالنظريات والرؤى العلمية والتي لم تحدث بعد، ومن ثم يبتعد عن الواقعية كذلك، وأدب الرعب الذي يشترك

مع الفانتازيا في الجنوح بالخيال لكن نحو واحة الرعب، لذا لا أجد سوى أدب الجريمة،ويتقدمه أحمد مراد بقوة، الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالواقعية.

هذا بصفه عامة، وعودة للمجموعة، نجد أنها تحتوي على قصص تدور في فلك الفانتازيا و/أو الرعب، لكنها لاتزال تدور في فلك الواقعية كذلك، وشخصيا أعتبره أمر منطقي، فالانتقال من مستوى لمستوى آخر يلزم ذلك وجود مجموعة من المراحل الانتقالية، وأجرؤ أن أعتبر هذه المجموعة مرحلة منها.

المميز في الأمر هو وجود النضج الأدبي في بعض القصص داخل المجموعة، والتي تجاوزت بمراحل ما وصل إليه من سبقها من أعمال، وهذا ما يعطي المجموعة مذاقا خاصا.

ولا تزال مشكلة النقد قائمة لتمثل العقبة الكبرى الحالية والمستقبلية لدى كتاب هذا الجيل من أصحاب الأقلام الجديدة والشابة.

في النهاية أنا سعيد بالاطلاع على هذه المجموعة الجيدة، والتي تنبئ بمجموعة من الأقلام القوية أتوقع ظهورها مستقبلا على الساحة الادبية بقوة

وبالتوفيق للجميع

د.أحمد خشبة

كاتب سلسلة رانمارو الفانتازية

تعليق على التعليق

عندما يقدم كاتب مخضرم لعمل شبابيّ فإنه يحتضن كاتبه، وربما يمتدح قدرات البداية فيه، تشجيعا.

لكن عندما يشيد كاتب، من ذات السن والخبرة والبدايات، بعمل من خط زملائه، فذلك يعني أن العمل استحق إشادة المنافس، وذلك هو الأقوى حقا.

وهنا، الكاتب الواعد أحمد خشبة، الذي حقق نجاحا كبيرا بتجربته الأولى "رانمارو"، يشهد لزملائه بروح طيبة تثبت تغيرا كبيرا في الأجواء الأدبية بين هذا الجيل الجديد.

مجموعة شيقة، شاركت فيها أقلام لها باع في كتابة أدب الرعب، وعلى رأسهم الكاتب المغربي عبد العزيز أبو الميراث، الذي يعتبر رائدا في هذا الأدب على صفحات الانترنت، ولا يكاد محب لأدب الرعب لا يتابعه.

د. إيمان الدواخلي

صانع الذهب

بقلم: عبد العزيز أبو الميراث :

كاتب مغربي شاب من مواليـــد ١٩٨٢ متخــصص في أدب الرعـــب والفانتازيا. وهذه القصة هي الفائزة بجائزة فرسان المغارة التي نظمتها التكية لأدب الفانتازيا عام ٢٠٠٩.صدرت له مجموعة فتاة قوطية الكترونيا.



عرفت (رشيد) دوما شخصا طموحا، وربما تجاوزت طموحاته كل القيود التي فرضتها الحياة عليه، لم يدخل الكلية التي كان يرغب، ولم يصبح المهندس الذي كان يتمنى.. لم يتزوج (ناهد) الفتاة الغنية التي كان يحب منذ طفولته.. وحتى الحلم الذي كان يدغدغ لياليه بهجرة مأمونة لأوروبا تفتح كل أبواب المستقبل لم يحققه.

و التقينا محررين في جريدة متوسطة الانتشار، هو في القسم الثقافي، يلهث وراء أخبار الفنانين المتغطرسين وأشباه الأدباء، وأنا في قسم الحوادث، أقضي اليوم بطوله في أقسام البوليس أتصيد من آلام الناس خبرا مثيرا للقراء يظهر كم هم محظوظون بحيواتهم البائسة. مكتبانا متقابلان ونرى بعضنا كل يوم، يلقي الواحد منا بهمومه في وجه الآخر، وكم كان (رشيد) مهموما، ساخطا على نفسه وعلى الأقدار التي جعلت منه شخصا فقيرا.

غير أن (رشيد) تمكن أخيرا من أن يخدع قدره. ولهذا حكاية مؤلمة سأحكيها الآن.

***

بدأ كل شيء كما أذكر بمقال له عن سور الأزبكية وباعة الكتب القديمة، لينشر بملحق الجريدة الأسبوعي. دخل (رشيد) المكتب طائرا على سحابة من السرور لم أتعودها منه. وضع مجموعة

من الكتب المهترئة والمصفرة أوراقها على سطح مكتبه والتقط منها واحدا أعطانيه قائلا:

- شفت جايب لك ايه .. الكتاب اللي كنت بتدور عليه من فترة.. وطبعة قديمة من قرن تقريبا .. (الروض العاطر في نزهة الخاطر)..

جذبتني رائحة الورق القديم وأثارتني أكثر من الكتاب نفسه. رائحة كالجنس. مددت يدي أتصفحه وأنا أقول:

- انت عترت في كتر .. بالك رايق النهارده.

بدت على ملامحه المفاجأة لحظة قبل أن يقول:

- كتر ؟؟ .. والله هي دي الكلمة المناسبة .. الكتب دي كتر لا يكيل بالبادنجان.

قالها مستعيدا جملة (عادل إمام) في مدرسة المشاغبين.

وغادر المكتب حاملا الكتب الأخرى وهو يقول:

- أشوفك العشا عند (سيد) .. وححكي لك عللي جرا.

وغادر يدندن : - عللي جراااا

***

- انت عاوز تقنعني .. انك مصدق التخاريف دي ؟

قلتها بدهشة وأنا أنفث من دخان الشيشة سحبا سيريالية غير مصدق أن (رشيد) يثق بشيء كهذا. أعرف أن الفقر يدفع بالبعض للبحث عن حلول يائسة كالقمار مثلا، لكن هذا؟؟

- تحول الحديد ذهب .. دي نكتة الموسم .. اوعى حد يسمعنا يعرف ان ده مش معسل.

- اصحى معايا بس يا (عبده) .. مش معقول الكلام ده كله يكون هزار..

نظرت له وعيني تقولان: (**دماغك**) ليكمل حديثه غير عابئ:

- أنا بالصدفة بس عترت في المكتبة دي .. وسط مكتبات كتير.. كان فيه شاب صغير اسمه (وليد) وبيحاول يتخلص من الكتب بالحرف كده .. أبوه الحاج (وحيد) اللي كان ماسك المكتبة مات.. والولد جه من اسكندرية عشان يصفي كل حاجة هنا .. انا لحقت الكام كتاب دول قبل ما باقي الناس تتلم على المكتبة زي النحل.

ووضع يده على الكتاب وهو يردف همس:

-انا عملت تحريات بقى عن الشاب ده وعن أبوه الله يرحمه..

طلعو من عائلة معروفة بتجارة الذهب.. سائت أحوالهم بعد أما جد الشاب (وليد) اختفى سنة١٩١٩

ثم التقط نفسا عميقا من الدخان منتظرا رأيي :

-هي صدفة .. بس انت بتحلم يا بني .. تحول الحديد ذهب؟؟

هز حاجبيه بضيق و لم يقل شيئا.

-الراجل اللي كتب الكلام ده .. الكيميائي ..

قاطعني: - السيميائي من السيمياء Alchemy مش Chemistry اللي هي الكيمياء .. زي كتاب باولو كويلو

- مش حنختلف .. الراجل ده عرفت عنه حاجة؟ .. هو اللي كان لازم تتحرى عنه مش اللي باع لك الكتاب.

- مش معروف .. وحتى الكتاب ده باين عليه قديم جدا من لغته رغم ان الورق بصحة ممتازة .. زي مايكون اللي تناوبوا عليه بيحطوه في نن عيوهم

- هه ..

أكمل وهو يبدو سعيدا لأنه نجح في إثارة اهتمامي، غير مدرك أنني أتظاهر:

- الراجل موقع الكتاب باسم السيميائي بس .. الكتاب كله ترجمة لبرديات فرعونية عن سيميائيين وسحرة حاولو يحققوا الحلم الأزلي بتحويل المعادن لذهب .. وفيه وصف لتجارب وملاحظات.. بس لسه الكلام مش مفهوم .. المواد المستعملة مش

عارف أساميها وببحث لسه في المعاجم ذات الـــصلة .. النـــهاردة اشتريت كام مرجع وناوي اسهر الليلة ابدأ أترجم.

سعلت وقلت دهشا: - دا انت ناوي بجد؟؟

- هه ايه رأيك؟ حتساعدني في المواد ولا اتصرف انـــا ف أي صيدلية؟

***

" بينما أقول هذه الأشياء، سقطت نائما. ورأيت كاهنا يضحي أمام مذبح له شكل قبة، وكانت هناك خمس عشرة درجـــة ســـلم تصعد إلى المذبح. وقف الكاهن هناك وسمعت صوتا من أعلى يقول:

"لقد أكملت هبوط الدرجات الخمسة عشر سائرا نحو النـــور. وأنا أتجدد بالتضحية، متخلصا من الطبقة الثقيلة للجسد، وهكـــذا بالضرورة أصير روحا"

ولدى سماعي صوته هذا الذي وقف عند المذبح الذي له شـــكل قبة، سألته من يكون؟ وقد أجابني في صوت حاد بالكلمات التالية:

" أنا آيون، كاهن المقدسات، وأنا أقاسي عنفا غير محتمل ...".

بعد هذه الرؤية استيقظت ثانية وقلت:"ما معنى هذه الرؤية؟" ... في المذبح الذي على شكل قبة تتولف الأشياء كلها وتتفكك وتتحد وتترابط، تمتزج كل الأشياء وتنفصل ... وفي الحقيقة فـــإن مـــزج

وفصل الأشياء يحدث بطرق ومقاييس وأوزان دقيقة من العناصر الأربعة.

وستجد ما تبحث عنه. والكاهن، هذا الرجل من النحاس، قد غير لون طبيعته، وأصبح رجلا من فضة. وإذا كنت تود، فإنك ستحصل عليه سريعا كرجل من ذهب"

***

وقضينا جزءً من الليل نفهم أن الأجسام فلزات، وأن الأرواح كحولات، والقبة جهاز تقطير، والسينابار زئبق، والحجر القابل للاشتعال كبريت. ونكتشف أن حمام ماري، الذي يعرفه كل مطبخ، هو من اختراع سيميائية سكندرية تسمى مريم.

أرهقتنا لغة الكتاب الصوفية. التي تنسب للفلزات جنسا مبينة أن "وحد الأنثى مع الذكر ، فستجد السر الذي تبحث عنه".

ووصفاته أشبه بممارسات سحرية مبهمة. ولولا بعض التفاصيل والملاحظات من المترجم المجهول، لكنا وقفنا عند أول فصل، ورمينا الكتاب.. أنا على الأقل.

- بص يا (رشيد) .. انا زهقت .. الكتاب الملعون ده عامل زي شمس المعارف الكبرى، وتسخير الشياطين في وصال العاشقين، وكتب الفلكي الطوخي، اللي كنا مدمنين عليها في الثانوية العامة.. وأديك شايف أهو .. لا انت اتجوزت (ناهد) ولا عترنا في خزائن الأرض .. ولا سيطرنا على العفريت اللي، ولحد دلوقت، راكبك .

بدا على تعبير وجهه أني لمست وترا حساسا في قيثارته النفسية، فاكتفى بالقول هادئا:

- طب روح انت استريح وبكرة نكمل كلام في الموضوع ده.. شكرا يا (عبده) تعبتك معايا معلش.

ثم تركته في أوهامه، متأكدا من أنه سيعجز وينسى الموضـــوع برمته في اليوم التالي.

لكنني كنت مـــخطئـــــا، طبعا.

فوجئت صباحا بأنه اتصل برئيس التحرير طالبا إجازة مرضـــية لأول مرة منذ فترة. واضطررت للكذب مؤكدا أن صديقي لم يكن على ما يرام.

ولم تكن كذبة في الحقيقة، فهو ليس على ما يرام بالفعل.

اتصلت بهاتفه فردت علي فتاة لطيفة تخبرني بأن الهاتف مغلق أو خارج نطاق التغطية.. وزرته بالبيت لأجد رسالة تقول أنه ســـافر الإسكندرية لجلب مواد تخص سرنا المشترك.

متى جعلني شريكا في جنونه هذا؟!

عدت محبطا إلى قهوة (سيد) وقضيت الليلة وحيدا أنا والنجـــوم وسعد الصغير.. وقطعة الحشيش اليومية.

***

استمر اختفاء (رشيد) خمسة أيام، مرت عليّ كدهر وأنا أحاول الاتصال به دون جدوى. أمر على بيته كل يوم، وأظل أطرق الباب حتى أزعج الجيران. ورويدا رويدا بدأ الخوف يتسلل إلى نفسي طاردا كل المشاعر الأخرى إلى زاوية مظلمة.

تراه اكتشف شيئا في رحلته غير مأمونة العواقب مع ذلك الكتاب المشؤوم؟ تراه وصل إلى الثروة المنشودة؟ تراه....

لو أن أحدا التقط حرفا من كل الكلام الذي خرفت به وأنا اركب سحب الدخان عند (سيد) في الليالي الفردية لكانت مشكلة. لكن رواد القهوة المساطيل أبعد ما يكونون عن الفهم، وقد جاءوا إلى هذا المكان لينسوا لا ليتذكروا أي شيء .

ثم كان ذلك الاتصال.

****

لم يحقق (رشيد) الأحلام الذهبية.. لم يصل كمن سبقه في رحلة البحث عن الإلدوراد.. و لكنه قطع مسافة مهمة.

يمكنك أن تلاحظ هذا لأنني اليوم أعيش متنقلا بين بلدان العالم، وقد كونت ثروة لا تنفك تتعاظم يوما عن يوم، ما دامت المادة الخام متوفرة في كل مكان.

عرفانا بالجميل، لم يفارقني (رشيد) أبدا. في ساعتي الذهبية، وعصاي الذهبية، وسلسلة العنق. لقد فتح جنون صديقي لي كل الأبواب. صرت أنا السيميائي الجديد.

رحلت عن مصر سنة بعد اختفاء (رشيد)، لم تكلف الـــشرطة عناء البحث عنه لأن لا أقارب له سواي. ولم أكن غبيا لأبقى هناك حتى يتساءل خبيث من الخبثاء عن مصدر ثروتي الجديدة.

ثم إن السنة كانت مناسبة لي لأتقن فن السيميائي الذي استعجل (رشيد) في فك أسراره، فكانت نهايته الحتمية.. وبدايتي، أنا.

أذكر الإتصال المشؤوم تلك الليلة، تسللت من بيت (رشيد) في جنح الظلام بعد أن شاهدت بأم عيني لحظاته الأخـــيرة. شـــيء لا يصدق، لكنه حدث.

ربما كان ذلك خطأ السيميائي الأول، الذي ترجم الكتاب، سبق وقال (رشيد) بأن جد الشاب الذي اقتنى منه الكتـــاب اختفـــى في ظروف غامضة، لم تعد غامضة بالنسبة لي الآن.

أدرك (رشيد) أخيرا – وكما نص اتصاله المشؤوم- أنني كنـــت محقا، وأن الكتاب كان ملعونا، فالمقصود بالتحول إلى ذهب لم يكن ،ولو لحظة، معدنا آخر غير الذهب.

كان جسدا بشريا حيا.

الأطياف

بقلم: فاطمة السيد الصباحي :

كاتبة شابة مهتمة بالقصة والخواطر والمقالات الساخرة

من مواليد ١٩٨٧ خريجة كلية الهندسة جامعة المنصورة.

منذ الصغر و الكل يتحدث عن ذلك الشارع المهجور...لا تمـــر من هناك يا محمود... إنه شارع ملعون...شارع الأطياف.

تذكرت كيف شحب وجه والدتي عندما عرفت بمروري مـــن هناك ليلاً - كانت المرة الأولى- عنـــدها جـــرتني مـــن ذراعـــي وأوسعتني ضربًا و هي تصرخ:

- أنت كل ما أملك في هذه الدنيا...لا أريد أن يأخذوك مني.

سألتها من بين دموعي:- من هم؟

كانت إجابتها كلمة واحدة لم تزد عنها يومًا: - الأطياف.

***

- ألا تعلمين ما جرى لفتحي يا أم محمود؟

- لا...لقد رأيته يمشي في البلدة كالتائه بعـــد اختفـــاء أخيـــه صبحي.

كانت تلك الخالة عزيزة جارتنا،أكـــاد أجـــزم أن الـــسبب في وساوس والدتي هو حكايـــات تلـــك الـــسيدة عـــن الـــسحر و الشياطين... لمحتني والدتي فنادتني:

- محمود...تعال يا بني اسمع ما تقوله خالتك عزيزة.

تقدمت من مجلسهم على مضض:

- كيف حالك يا خاله؟

- بخير ..اجلس يا محمود... أصحيح ما سمعته عـــن ذهابـــك وإيابك ليلاً من شارع الأطياف؟!!

قلت بنفاد صبر:

- عن أي أطياف تتكلمين يا خالتي؟

نظرت لي نظرة المشفق علي لجهلي:

- الأطياف التي أخذت صبحي، و أصابت أخيه فتحي بالجنون.

لم أحتمل سماع المزيد من هذه الترهات، فانتفضت واقفا..

- أستأذنكما.

***

وقفت أمام الشارع المظلم...لا شئ على غير عادتــه، طــوال حياتي أسلك هذا الطريق الذي هجره الكل و كلي فضول لمعرفــة سبب هذا الهجران.. لكني في النهاية تبينت أن الأمر لا يتعدى كونه خرافات متناقلة. استيقظت من أفكاري على يد تربت على كتفـــي فانتفضت، تناهى إلى سمعي صوت صديقي رأفـــت الـــذي قـــال ضاحكاً:

- هل خفت؟ إنك غريب... أطياف بلدتنا لا ترهبك، و مجـــرد رؤيتي جعلتك تقفز فزعاً.

ابتسمت:

- لقد فاجأتني لا أكثر... إلى أين تذهب؟

- إلى المترل.

- حسناً هيا بنا.

ما أن خطوت خطوة إلى الأمام حتى أمسك بذراعي:

- لا... إذهب وحدك لن أمشي من ذلك الشارع الملعون أبدًا.

ابتسمت، و مضيت في طريقي بعد أن قلت له: - جبان.

***

احتار الأطباء في علاج حالة رأفت.. نظرت لصديقي و قد تحول وجهه الباسم إلى صفحة بيضاء تطل منها عينان جاحظتان تحملان رعب لا حدود له.

يجب أن أتحدث معهم... مهما كانوا يجب أن أتوصل لسبب ما يفعلونه، لقد بدأت أقتنع بما يقوله الكل عن ذلك الشارع، لكن أكثر ما يثير دهشتي أنني أستمر، و بدأب، على المرور منه طوال تلك السنوات... و لم يصبني ما أصاب فتحي ورأفت وغيرهم؟

***

الساعة الثانية بعد منتصف الليل... كانت ليلة مظلمة، و كأن القمر قد ذهب في مهمة غامضة مصطحبًا معه كل النجوم، مما ترك السماء خالية من النور.

إنها المرة الأولى التي ينتابني الخوف و أنا أدخل الشارع...خطواتي، التي كانت دومًا واثقة، ارتجفت. نهرت نفسي "مابك يا محمود...تشجع قليلاً"

تصاعد صوت خطوات تتبعني.. و كلما التفت لا أجد أحـــدا. أحسست بحركة ذرات الهواء من حولي، و انتـــابتني قـــشعريرة. ثم فجأة تردد صوت هز المكان، و تدفقت معه رياح حارة:

- أخيرًا أتيت يا محمود.

تلفتّ حولي و قد تملكني الذعر.. لكن لم أجد أحدًا، صحت:

- من...من أنت؟

تردد الصوت:

- لا يهم من أنا.. بل ما سأفعله بك.

أغمضت عينيّ:

- أعوذ بالله...أعوذ بالله.

أحسست بموجة تضربني، فطار جـــسدي، ليـــصطدم بجـــدار متهالك، قبل أن أتكوّم وأتأوه بألم. رفضت أن أفتح عيني، فهـــدر الصوت:

- افتح عينيك يا محمود.. افتحهما لتراني.

شعرت بضغط رهيب على ضلوعي... كادت أنفاسي تنقطع من إزدياد الضغط، فصرخت:

- كفى.

فتحت عيني، ليطالعني أقبح و أبشع وجه قد أراه يومًـــا. كـــان وجهه يبعد عن وجهي بضع سنتيمترات، حتى كاد أنفه الرمـــادي

الطويل يلامس أنفي. تراجعت برعب و عيناي تنظران إلى عينيـــه الحمراوين المشقوقتين، فابتسم ابتسامة شيطانية:

- أخيرا اقتنعت يا محمود!... كم أتعبتنا و كم أغــضبتنا بـــلا مبالاتك.

أخذت أهز رأسي محاولاً صرف صورته البشعة من أمامي... لقد كنت أمر من هنا دومًا.. أين كانوا؟ ازداد فزعـــي عنـــدما قـــرأ أفكاري:

- كنت تمر بقلب قوي لا خوف فيه...حتى أنك لم تكن مقتنع بوجودنا.

ضرخت بتضرع:

- اتركوني لحالي.

حاولت ان أرفع جسدي من على الأرض بصعوبة؛ إلا أنه رفـــع يده، فتجمدت في مكاني و أنا أشعر بأوصالي تُسحق. قال:

- إذا ظننت أن رؤيتك لي رعب، فأنت لا تعلم ما ينتظرك....

رفع رأسه ناظرا خلفي، و ســكمل باستمتاع:

- سوف أعرفك على باقي العائلة.

***

فتحت عيني، فوجدت نفسي في فراشي، و والدتي نائمة علـــى كرسي بجوار السرير... نظرت في أنحاء الغرفة و كأنني أبحث عـــن ذلك المسخ...هل كان كابوس؟، استيقظت والدتي، وأســـرعت إلي تربت على ظهري:

- هل أنت بخير يا بني؟

سألتها بدهشة:

- ماذا حدث يا أمي؟

- لا أعرف...لقد وجدك أبو توفيق ممدًا في عـــرض الطريـــق، وجسدك ملئ بالكدمات.

نظرت لذراعي اللتين تحولتا للون الأزرق، و زفرت "إذًا لم يكن كابوس". هزتني برفق، و قالت بصوت متهدج:

- إنها الأطياف... أليس كذلك؟

استدعيت أفضل ابتساماتي:

- لا يا أمي... إنه حادث بسيط. اعتـــرض طريقـــي بعـــض المشاكسين فتشاجرنا.

نظرت لي بعدم اقتناع، ثم قالت برجاء:

- لا تمر من ذلك الشارع مرة أخرى يا محمود.

أومأت برأسي.. قالت بإصرار:

- عدني.

- أعدك يا أمي.

***

- ينتظرك طارق في الصالة.

رفعت رأسي عن المصحف و سألتها:

- طارق؟ من طارق؟

- صديقك... يقول إنه كان زميل دراستك و إنكما مقربان.

لكن لا صديق لي اسمه طارق، كدت أنطق بهذه الجملة لكـــنني عدت فاحتفظت بها لنفسي.. لا ينقصها المزيد من الخوف.

- سوف أخرج لأقدم له الشاي ريثما ترتدي ملابسك.

ما أن خرجت، حتى قفزت من الفراش، و ارتديت ملابـــسي... قبل أن أضع يدي على مقبض الباب، فُتح فجأة...دخل رجل مغلقا الباب خلفه. كان فارع الطول، جميل الوجه، مرتب الهيئة. ســـألته بحدة:

- من أنت؟

ابتسم ابتسامه قبيحة شوهت جمال قسماته:

- كما قالت لك والدتك... طارق.

- لا أعرف أحدا بهذا الاسم.

وضع اصبعه على شفتيه:

- اخفض صوتك.. لا نريد أن تسمع والدتك حديثنا.

- مـــ...من أنت؟.

- ألم تعرفني؟ يبدو أنني في هيئتي هذه من الصعب التكهن بقرابتي لــــ...

بتر كلامه و لمعت عيناه بلون أحمر، فأحسست بقلـــبي يرتجـــف داخل صدري. تراجعت إلى الخلف:

- ماذا تريد مني؟

- لست أنا، بل زعيمنا... هيا لتأتي معي.

تراجعت أكثر لألتصق بالجدار.. فتقدم مني، و أمسك ذراعي... سمعت صوت عظامي تفرقع. ترك يدي ما أن دخلـــت والـــدتي إلى الغرفة تحمل الشاي، فأخذه منها:

- شكراً يا خاله.

بعد أن خرجت مغلقة الباب وراءها، التفت لي:

- يقول الزعيم إنه يريدك معنا.

- معكم؟

- نعم نريدك أن تأتي لتعيش معنا.

صحت:

- ماذا تقول؟ هل جننت؟

- لا أعتقد أن جنوننا إن رأيته سوف يعجبك.. فكر بـــالأمر .. من المستحسن أن توافق...

اتسعت عيناه وهو يكمل:

- وإلا سترى الجنون حقا

اختفى فجأة، فتهالكت على الأرض واضعاً رأسي بين يدي.

***

لم تتكرر زيارة طارق. فبعد رحيله، لزمت غرفتي أصلي و أقــرأ القرآن. تعجبت والدتي من حالي؛ لكنها تــركتني في عــزلتي الــتي تمسكت بها. حتى ذلك اليوم المشؤوم الذي أتت فيه جارتنا عزيــزة تصرخ و تتوسل والدتي:

- يستطيع محمود أن يعيد لابني عقله.

خرجت من غرفتي مسرعاً:

- ماذا حدث لرضا ياخاله؟

ما أن رأتني حتى ركضت نحوي و تعلقت بذراعي:

- أعد له عقله يا بني.

أمسكت بها قبل أن تقع وأجلستها:

- ماذا حدث يا خاله؟

- لا أعلم.. لكن الأطياف سلبته عقله، و لن يعود إلى رشـــده حتى تمتثل لأوامرهم.

صرخت والدتي بها:

- هل جننتِ يا عزيزة؟

***

- ابنك السبب يا أم محمود... لقد أطلقهم.

كان ذلك جارنا أبو توفيق الذي أتى إلى مترلنا غاضبا... لزمت غرفتي، بينما توافد الناس إلى بيتنا يشكون و يصرخون، ومنهم مـــن كان يطلق السباب و اللعنات علي لتحريري الأطياف من الـــشارع وحملها على التجول في بيوت الناس والتعدي علـــيهم. قـــررت أن أخرج من المترل لأعرف حقيقة ما يقولونه.

***

كانت شوارع البلدة خالية، و كأن وباءً قد انتشر و أباد الناس. أخذت أسير بلا هدف... ترى هل ما يقولونه صحيح؟ هـــل أنـــا السبب ؟ أنا من أطلق أولئك الملاعين؟!

يد وضعت على كتفي جعلتني انتفض فزعا. التفت، فإذا بي أمام ذلك الـــطارق:

- ما بك يا صاحبي؟ هل أفزعتك؟

صرخت به:

- ما الذي فعلتوه بالقرية؟

رفع إصبع طويل أمام وجههي:

- لا تقل فعلتوه... أنت من فعل. رفضك لمرافقتنا هو ما جلب البلاء على أهل قريتك.

- إنكم ضعفاء...يحلو لكم أن تتظاهروا بالقوة؛ لكنكم ضعفاء. و الدليل عدم قدرتكم على الوصول لي.

احمرت عيناه بذلك البريق الذي جمد قلبي وراء ضلوعي وقال:

- حسنًا أيها القوي... آن لك أن تُلقننا درسك.

أحسست بنفسي أُجر بقوة غير مرئية حتى ذلك الشارع. وما أن وصلنا، حتى ظهر ذلك المسخ القبيح وسط غيمة سوداء، وتصاعدت همهمة بدأت تعلو تدريجيا، حتى أحسستها تخترق مسام جلدي. وضعت يدي حول أذني لكن بلا جدوى. اخترقتني الأصوات بقوة كقطع زجاج مهشم ممزقة جسدي. أخذت أصرخ.. و لم أتوقف عن الصراخ حتى انتهى الأمر ،وساد المكان سكون غريب.

تقدم مني المسخ وبجواره طارق وقد تبدلت هيأته، ليصير كائنا يفوق زعيمه قبحًا، بقامته القصيرة، ولونه الرمادي وأنفه المعقوف. انشق الهواء على شكل بوابة دائرية، اصطحباني، و مررنا منها...في

الجهة الأخرى كان كل شئ أسود و أحمر .كأنها لوحة دموية رسمها شيطان. تكلم الزعيم:

- سوف نصحبك في جولة.

***

سرنا في ممر طويل، يهيأ للمرء أنه لا نهاية له...ممر ملئ بالأبواب. دفعاني لندخل الغرفة الأولى.. وقفت متجمدا في مكاني عندما رأيت صبحي، الذي ما أن رآني حتى تعالت صرخاته:

- انقذني من هذا الجحيم.

ركضت باتجاهه؛ لكن طارق لطمني على وجهي، فارتميت في طرف الغرفة و أنا أحس بطعم الدم في فمي. ظهر اثنان شبيهان بطارق، ينبت من رأسيهما أفاعٍ سوداء تصدر فحيحا مستمرا .. سحباني خارجا مغلقين الباب على فتحي الذي استمر بالصراخ...

انبعثت من الغرفة الثانية أصوات رهيبة، لم أستطع أن أتخيل سببها. نظر الزعيم للرعب الذي ارتسم على وجهي، و قال باستمتاع:

- قلبك الضعيف لن يتحمل ذلك... لا نريدك أن تموت.

تجاوزنا الغرفة الثانية، و دخلنا الثالثة. كانت جارتنا عليّه، تلك الفتاة باهرة الحسن، تجلس متكوره في ركن الغرفة، و قد ذبلت ملامحها كانت تردد:

- أخبروا أمي أنني مازلت حية... أخبروها.

اقتربت منها و قلت بغباء:

- والدتك ماتت بعد اختفائك.

ركضت باتجاهي، و أخذت تكيل لي اللكمات و الضربات:

- لا لم تمت... عليك اللعنة أيها الكاذب.

أطاحت بي أرضا، و أخذت ترفسني حتى أحسست بضلوعي تتحطم. سحبني المسخان خارجا و أنا أردد:

- لماذا؟ لماذا؟

- كما رأيت يا محمود... لقد صرت مكروها في كل مكان...لا خيار لك سوى البقاء معنا.

دخلنا الغرفة الرابعة، التي ملئت بظلال سوداء تتجول بها بسرعة، لتخترق شابين تراخى جسدهما، و كأنهما توقفا عن المقاومة منذ زمن. التصقت بطارق، كأنني أطلب منه الحماية. فتعالت ضحكاته الشيطانية لتهز جسدي.

خرجنا إلى أمان الممر الذي اعتبرت مكوثي فيه نعيم. اقترب مني المسخ الكبير:

- كنت أتمنى أن تشاهد كل شيء، لكنك لن تتحمل. يكفيك ما رأيته و الآن...

صمت، و اصطحبني متجاوزًا كل الأبواب، حـــتى وصـــلنا إلى الباب الأخير التفت لي:

- هذه غرفتك يا محمود...أهلاً بك معنا.

فتح الباب فلم أرى سوى عـــدوي منـــذ الـــصغر...الظـــلام الدامس... رموني بالداخل مغلقين الباب خلفي.

خرساء

بقلم: ولاء نصر :

كاتبة شابة من مواليد ١٩٨٣ ومحررة في مجلات القصة القصيرة وروايات ورؤية مصرية الالكترونية.

شاركت في مجموعة قصصية (أوراق رجل لم يهزم) وفـــازت بالنـــشر في مسابقة التكية لأدب الرعب المحلي على مستوى الوطن العربي



دائما كنت أقف هناك، أنظر له، أراقبه، أراه يعلو ويهبط، يمتد، ينحسر.

لطالما تحسست طريقى فى الظلام، فجرا، دون أن يشعر بى أحد، لأقف هناك فى نفس المكان، مرت السنوات كثيرة وأنا على هـــذا الحال. لم أتخلف يوما، كنت أشعر أنه ينتظرنى.

"نهايتك ستكون الجنون "

لطاما سمعت هذه العباره من أمى عند عودتى مع بزوغ الفجر

من الشاطئ. نعم، فالبحر هو ذلك الحبيب الذى كنـــت علـــى موعد دائم معه.

لم أجد تفسيرا لتصرفي غير الإرادي هذا طوال السنوات الماضية .

" لقد ضاع أخوكِ والآن جاء دورك أنتِ "

كانت كلمات أمى تخترق أذنى وأنا غير واعيه، أسير بغير هدى، أذهب وأعود وأنا مغيبة.

لم تعرف ماكنت أراه هناك... لكنكم أنتم ستعرفون.

***

فى البداية، كان عشقى للبحر هو سبب رحلاتي الليلية. ولكـــن بعد فترة من الزمن، تغيرت دوافعى.منذ أكثر مـــن عـــامين وأنـــا

أراقبهم. بدأت بالفضول، وانتهت بالعشق.. نعم فقد كـــان هـــو هناك.. دائما هناك.

لم أعرف عمله أو عملهم كلهم بدقة، كانو يأتون من البحر.

-" هلم يا بنى سنتأخر "

كانت تلك كلمة أكبرهم، دائما يدعو الجميع.. لكنى لم أعرف ماذا يفعلون على شاطئنا، ولا من أين يأتون. إنهم يأتون من البحـــر وكفى.

أما هو، فكان شابا كتوما، صامتا دائما، يؤدى عمله الذى هـــو نقل شئ ما من شاطئنا إلى مركبهم.

الغريب أننى لم أر أى من رجال قومنا يقف معهم. فمن أيـــن يأتون بتلك الأشياء التى ينقلونها ؟ وماهى ؟! فنحن ليس لـــدينا أى شئ فى قريتنا سوى شباك الصيادين، الأسماك، والقوارب. ولا أعتقد أن أيا من هذه الأشياء يمكن أن يكون مطمعا لأى كائن فى الأرض.

كنت قد اعتدت على النظر من بعيد ومراقبتهم، دون أن يرونى بالطبع. ولكن يومها أتت الرياح بما لا تشتهى السفن. فقد قرر كبير المجموعة أن يرسل أحد الرجال لمكان قريب من مكان اختبائى. ولم أعلم هدف هذا إلا عندما وجدته أمامى.. وكان هو.. نعم، كـــان ذاك الشاب الكتوم الصامت.

وقف أمامى، وسمعته يتحدث بهمس لأول مرة..

"من أنت؟ وماذا تفعلين هنا بالله عليك؟"

لم أستطع الرد، لم أستطع الإجابة.. وظل يهمس

"تكلمى، تكلمى، ءأنت خرساء؟"

أومأت برأسى مجيبة بنعم، فالبفعل نعم.... فأنا خرساء، أستطيع سماع كل شيء، ولا أستطيع الكلام. ولدت هكذا بعيب خلقـــى، ولم يسع أى مخلوق لمعالجتى، أعتقد أنهم فضلوا أن يـــأكلوا وجبـــة، على أن تضيع النقود فى عياده طبيب .

بدت على وجهه ملامح المفاجأة مختلطـــة بالتعـــاطف.. عـــاود الحديث فى همس

"حسنا انصرفى ولا تأت هنا فى هذا الميعاد مرة أخرى "

فهززت رأسى بالنفى رافضة هذا التحكم. وأخذت أشير بيدى أطالب بتفسير ،فأومأ برأسه

"حسنا ، قابلينى هنا غدا، عند المغرب، بعد انصراف الجميع. "

فأومأت مجيبة ووجهى يتهلهل بالسعادة.

أخذت يومها أفكر فى هذا اللقاء، وأنتظر أن يمر النهار. وذهبت للموعد، فوجدته بانتظارى .

عدت إلى منزلى بعدما ودعته بإشارة واحدة من يدى، وبمئات الكلمات من عينىّ . شعرت بالراحة لعدم وجود أيا من سكان القرية، و لم أهتم لوجودهم من الأساس.

هم الذين يصمونني وعائلتي بالجنون منذ غرق أخى فى البحر ليلا. وجدنا جثته طافية فى ذاك الصباح، و لم يفهم أحد سبب خروجه تلك الليلة، لتظل وفاته لغزا حتى هذه اللحظة.

ظللت أسير بهدوء وأنا أتذكر كل ما دار بيننا فى لقائنا.. كيف كان حنونا رقيقا معى، كيف أخبرنى أننى أثرت فى نفسه كثيرا. أنا أيضا حاولت أن أخبره مدى تعلقي به، وكيف تابعته وراقبته طوال السنتين الماضيتين. كنت أتمنى فقط لو يعطف على بكلمة أسمع بها صوته.. وأخيرا أتى اليوم الذى أجلس معه بمفردى.

طوال جلستنا أخذت أتأمل ملامحه، التى أحفظها عن ظهر قلب. شعره الأسود المتموج على جبينه الناصع، حاجبيه الكثيفين، وكيف يظللان على عينيه السوداء، يديه وكيف يحركهما ليعبر أثناء حديثه، قامته الفارعة، كتفيه العريضين، بشرته التى لوحتها الشمس. كنت أرى فيه كل أبطال الروايات التى كنت أقرؤها حينما كنت فى مدرسة البندر، أشتريها من باعة الروبابكيا، وجمعت عددا قليلا منها، ظللت أقرؤه حتى حفظتهم .

دلفت لحجرتى دون أن يشعر بى أحد، واستلقيت. كنت على وشك النعاس، ثم جاءتنى أمى .

" حبيبة.. هل لكى أن تخبرينى أين كنتِ ؟"

ابتسمت لها، وأخذت أشير لأخبرها بأننى كنت عند البحر .

"كالعادة "

ثم أمسكت ذراعى بقسوة

" ألم أنهكِ عن الذهاب إلى هناك؟ أم أنك تتمنين أن تظلى بجانبى؟."

فأشرت لها أن الجميع يعتقد أننى مجنونة، وأنه بالتأكيد لن يأتى هذا العريس المنشود ليتزوج منى ويريحها. وأخيرا خرجت أمى تولول عليّ وعلى حظها العاثر، هى، بنت البندر ،تتزوج أبى وتأتى معه إلى هنا، فيضيع أخى، ويموت أبى حزنا عليه، وتبقى معى نأكل من إيراد مركب أبى التى نؤجرها للصيادين.

دائما وأبدا كانت أمى غير راضية بنصيبها، ومقتنعة أن كل هذا بسبب حبها لأبى وموافقتها على هجر المدينة والعيش هنا.بعد ذلك جلست أنظر للفراغ، و استسلمت لأحلامى، كنت أحلم به يأخذنى فى مركبه، ونرحل بعيدا.. أتذكر أنه عندما سألنى عن اسمى، كتبته على الرمال، فأضاف له ياء، وقال لى

" هكذا أفضل (حبيبتى) أفضل من حبيبة"

أخذت أضحك وأنا أنظر له، أذكر وعده لى بلقاء آخر ، بشرط
ن أكف عن رحلاتى الليلية. حاولت أن أسأله عن عمله، فكـــان
غير الموضوع، وقال أنهم ينقلون البضائع.. أى بضائع تلك؟!

لم أتماد فى السؤال. كان كل ما يهمنى هو تواجدى بجانبه. أخذ
يحكي لى عن حياته، وعن إخوته ووالده الذين يعيشون علـــى الـــبر
ثانى.. وهكذا. أخذت أسترجع كل كلمة، كأننى أقص على نفسى
حدى الروايات التى اعتدت قراءها.. حتى استسلمت للنعاس.

وصلت للمكان أتحسس خطاى فى الظلام، فى ليلة لم يكن بها

للقمر أى ضياء. أخيرا ، وصلت للمركب التى كنـــت أختبـــئ
راءها فى المرات السابقة. ظللت فى انتظار وصول (على) ورفاقه.

مر الكثير من الوقت

ولم يظهر أحد. ظللت أنا متلفحة بالظلام، يخالجنى شعور كـــبير
بالرعب. ليس من شيء محدد، ولكن ألم ينبهنى (على) ويشدد على
لا آتى؟ لذا بالتأكيد هناك شيء ... وشيء خطير .

غلبنى النعاس بعد فترة، واستيقظت على أصوات رجال اعتقدت
أنهم قوم (على) قد أتو أخيرا، وأننى سأراه. لكننى وجدت شـــابين،
أو ثلاثة لا أكثر، أعتقد أنهم من شباب القرية، وغالباً هم يتسكعون
فى انتظار أذان الفجر.

أخيرا أيقنت عدم مجئ أحد، وقررت أن أتسكع أنا الأخرى على الشاطئ .

ظللت أسير على غير هدىٍ.

فجأة، اصطدم شيء صغير بقدمي العارية فآلمنى، تناولته من بين الرمال.. تحسسته فى الظلام.. هى غالبا عملة. لعلها سقطت من أحد الصيادين، أو من هؤلاء الشباب

لم أستطع أن أكمل رحلتى، وعدت للمترل متألمة من قدمى التى نظرت إليها ووجدت جرح غائر بها. استرعى انتباهى كيف أن مجرد عملة، غالبا هى من فئة الجنيه، تحدث هذا الجرح! بحثت عن العملة فى جيبى، ونظرت إليها ذاهلة، فلم تكن من فئة الجنيه، ولا من العملات المعروفة. عليها صدأ من نوع ما، ورمال تغطيها بشدة، وأيضا....طحالب من البحر .

ظللت أتساءل من أين أتت هذه العملة.. إذا كانت سقطت من شخص على الرمال، فمن أين أتت هذه الطحالب؟ بعد ليلة لم يغفل لى فيها جفن، منشغلة بغياب (على) وقلقي عليه، كان التفكير بموضوع العملة مناسبا لأجد شيئا يلهينى .فقررت العودة مرة أخرى فى الفجر، والبحث ثانية.

أعادتني قدماى إلى الشاطئ، سائرة بغير هدىٍ، كالعادة لم يعد أمامى غير الانتظار.

مرت الدقائق كأنها ساعات، حتى سمعت أصوات المركب وهى قادمة تحمل الرجال. أخذت أراقبهم علنى أجد (على) بينهم. وبعد بحث مضن، زادته الظلمة صعوبة، وجدته يساعد الرجال في نقـــل أشياء من حفرة عميقة في مكان ما على شاطئنا. كنـــت أتمـــنى أن يراني، لكنى ارتعبت من مجرد التفكير في الذهاب إليه .

ظللت منتظرة حتى انصرفوا تاركين الشاطئ كما كان، وكأنهم لم يكونوا هنا، بلا أثر لحفر في الأرض. تعجبت كثيرا كيف لم أنتبه طوال السنتين لتلك الحفر!.. أخيرا وجدت التفسير.. فعلا أنـــا لم ألاحظ الحفر لأني كنت أصل للشاطئ وهم يعملون، وأذهب قبـــل أن يغادروا.

مكثت أراقبهم حتى غابوا. أعتقد أنه هناك من كـــان يلاحـــظ وجودى بينهم، فقد لاحظت أن (على) كان يتلفت كثيرا، وظل ينظر خلفه حتى غابت المركب في الأفق .بمجرد أن اختفت المركب عن ناظري، هممت بالجري لمكان الحفر؛ لكنى تراجعـــت مـــسرعة عندما وجدت مفاجأة.

نفس الشبان الثلاثة _المتسكعين قبل الفجرـ ينبـــشون مكـــان الحفر!.. فى البداية، اعتقدت أنهم فضوليون مثلي. ولكن ما حـــدث بعد ذلك هو ما أثار دهشتى .

وجدت أحد هؤلاء الشبان يخلع ملابسه ماعدا لبـــاس البحـــر ، ويتناول شيئا معدنيا كبير ا – عرفت بعد ذلك أنه كشاف- واتجـــه ناحية البحر.

تسللت إلى مترلي، فلم يبق الكثير على الشروق، فكرت أنه لـــو اكتشفني أى شخص؟ شعرت بجسدي ينتفض، ارتعبت حتى مـــن مجرد الفكرة . جافاني النوم ذلك اليوم، وظللت أحاول أن أصل لحل أو لنتيجة تريحني .

وتذكرت مشهد نزول الشاب للبحر والذي من بعده لم يظهـــر و لم أره، بينما مكث أصدقاؤه فى انتظاره،

مضت عدة أيام وأنا أشعر بالرعب، و لم أجرؤ على الذهاب

للشاطئ. ثم راودتني فكرة أن أذهب عند المغرب، علني أقابـــل على .

بالفعل ذهبت، ووجدت مفاجأة في انتظارى. كان على يجلـــس في نفس المكان.. اعتقدت أنه كان ينتظرني.

بادرته أشير في شوق

"كم اشتقت إليك ، أين كنت كل هذا الوقت ؟"

أمسك ذراعي يعتصره، بينما أسنانه تحدث صريرا مـــن فـــرط غضبه:

" ألم أحذرك من الذهاب للشاطئ عند الفجر "

بكيت بدافع من ألمي وارتباكى من تغير معاملته ،فكتبت له على الرمال

" قلقت عليك "

ثم نظرت في وجهه وعينيه، وأخذت أشير له كيف أن من حقي أن أراه، وأنني لا أحمل رقم هاتفه، وأنه لم يأت أو يحاول الوصول لي. ثم جاءتني خاطرة.. طالما هو رآني فلم لم يحاول أن يكلمني ؟! .. وما سر كل هذه القسوة؟! شعرت بوخزة أسفل عنقي، وتيار بارد يسرى في عروقي.

تحججت بغضبي من معاملته، وحاولت النهوض والفرار . ولكنه قبض بقسوة على معصمي، وقال لي بشك

"ماذا رأيت؟"

لم أخبره بشيء، حاولت أن أغير الحديث

"رأيتك وأنت تتجاهل وجودي!"

عندها هدأت ملامحه، ونظر إليّ قائلا في عتاب

"ألم أمنعك يا حبيبة أن تأتي وحدك ليلا؟"

أخذت أربت على كتفه، وكأنني أطلب الصفح، ثم نهضت وحاولت الفرار مرة أخرى. وهنا.. سقط شيء من جيبي.. وقبل أن تصل يدي إليه، كانت يده الأسبق .

وسقطت كل الأقنعة، ورأيت وجه آخر لعلى لم أتخيله.

لم أعرف من أين جاءتني هذه الشجاعة. اختطفت منه العملة، وهرعت أجرى وأنا أراه يجرى ورائي بسرعة عجيبة، كأنه البرق

.لكنه اختفى عندما اقتربت من منزلي، لم أجده خلفي.. لعله خشي من أهل القرية .

عدت للمترل وأنا أرتجف، وأحاول أن ألتقط أنفاسي.. أغلقت عليّ باب حجرتي، وارتميت على فراشي غارقة في نوبة بكاء هستيرية.

بعدها غلبني النعاس حتى الصباح،و لم أنتبه إلى عدم وجود أمي في المترل. نهضت، أخذت أبحث عنها، وأطرق بيدي على كل حائط وباب في المترل.. ولا حياة لمن تنادى .

لم ألبث أدلف لحجرتي، حتى أتاني صوت الصراخ مرة أخرى من ناحية البحر. وكان كما توقعت غريق أخر.

هرعت أنظر إليه.. هالتني الصدمة، لقد كان هو كان الشاب الذي رأيته يتجه للبحر. تجمدت فى مكانى، ولم أستطع التحرك. أخذت أعيد أحداث تلك الليلة فى عقلى.. أكررها وأكررها كأنها شريط لا ينتهى.. أضع كفيّ على رأسى فى محاولة يائسة للهروب من كلمات ونظرات أهل البلدة إليّ.

أخيرا بدأ الناس ينفضون عن الجثة، التى أتت سيارة كبير البلدة لنقلها لمترل أهل الشاب، حتى يباشروا إجراءات الدفن.

ثم خطر على عقلى سؤال.. كيف غرق وهو لم يكن وحده؟ أين كان أصدقاءه الذين رأيتهم؟ وإذا كانو تركوه فى البحر، فأين هم الآن؟

قابلت أمى فى طريقى للمترل، قمرول، تتلفت فى كـــل اتجـــاه. وعندما وجدتنى، أمسكت بتلابيبى، كأها ســتقتلنى. حاولــت أن أربت عليها لأهدئ من روعها ، غريب خوفها كأها رأت عفريت.

عدنا للمترل، ثم بدأت حديثها بعد أن تجرعت قليلا من المياه.

"أنت سبب تغيبى عن المترل.. لاحظت خلال الأيام الماضية تغير أحوالك وانعزالك.. قلقت عليك.. وأخـــيرا قـــررت بـــالأمس أن أتبعك.

وجدتك تذهبين خلف المركب المهجورة بجانـــب الـــشاطئ. انتظرت لأعرف إلى من جئت، فلم أجد أى حد. بعـــدها رأيتـــك تشيرين إلى شيء، وكأنك تحدثين شخصا غير موجـــود. ظللـــت أراقبك حتى رأيتك قمرعين، كأنما يطاردك شيطان.. ماذا بـــك يـــا ابنتى؟ أى مس أصابك ؟"

تجمدت الدموع فى مقلتى، فلم أنوقع حرفا واحدا ممـــا ذكرتـــه أمي. ربت على يديها، وطلبت منها أن قمدأ.. وعـــدتما أن أقـــص عليها كل شئ فى الغد.. دلفت لغرفتى ،و أخذت أحادث نفسى

"سؤال جديد يضاف لأسئلتك التى لا تنتهى، ترى ما بك يـــا حبيبة؟، هل أهذى، وكل ما يحدث هو من اختراع عقلى، أم ماذا؟.

أخيرا عقدت العزم على القيام بخطوة لم تكن تخطر لى على بال، قررت أن أذهب عند الفجر للشاطئ، وأن أسأل قائد المركب عـــن على، فلم يكن لدى حلُ أخر .

منذ ظهور أخر جثه على الشاطئ ، ولا حديث فى البلدة سوى عن الغرقى ، أصبحت البيوت كلها تعـيش فى خـوف.. يخـرج الصيادون من منازلهم كأنهم ذاهبون للشهادة ، وليس للبحث عـن الرزق .

بالطبع، وكما هي العادة، فسر أهالي قريتنا البسطاء غرق هؤلاء الشباب، بوجود جنية البحر ، أو بلعنة ما تصيب من يترل البحـر ليلا. وهناك آخرون ذكروا بعض قصص على استحياء، عن كترُ ما، وبلدة قديمة، وحارس للكتر، و.... و ... الكـثير والكـثير مـن الخزعبلات التى أشعر الآن أنني على استعداد أن أصدقها. فقد مـر على غرق أخي الكثير من السنوات، ومنذ غرقه لم تحدث أى حادثة غرق أخرى، فلماذا تجددت الحوادث الآن إذن ؟

أيضا لم أكن أنا من رواد الشاطئ وقتها.. كنت ما أزال صغيرة بعض الشئ. كثيرا ما أحاول تذكر الأحداث السابقة لغرقه، أجـده كان كثير الخروج ليلا لدرجة ملفتة. يخرج ويعود وملابسه مبتلـة كأنه كان يسبح في البحر .. بالطبع حذرته أمي وقتها مـن جنيـة البحر ،وحاولت التأثير عليه بكل ما تملك من قصص خيالية أقـرب إلى حكايات ألف ليلة وليلة.

فجأة، جاءتنى فكرة .. لم لا أبحث في ملابس أخي، علني أجـد الإجابة على أي من أسئلتى .

هممت أفتح الخزانة القديمة حيث ملابس أخي كما كانـــت، لم تحركها أمي من موقعها طوال تلك السنوات. وبعد بحث مـــضن، عثرت على ضالتي.

كانت عملة كالتي وجدتها على الـــشاطئ. أســـرعت أحـــضر عملتي، وأقارنهما ببعضهما، كانتا متطابقتين تماما! ..ترى أين عثـــر عليها أخي؟ هل وجدها مثلما وجدتها أنا؟ أم كان _ رحمـــه الله _ يعرف مصدرها؟ وحده الله يعلم .

بعد عثوري على العملة، أصبح شغلي الشاغل الآن أن أعـــرف سر كل ما يحدث، ولكن أولا ، هناك شئ لم أسأل أمي عنه..

إذا كانت تسللت ورائي عند المغرب، وعادت ورائـــي كمـــا ذكرت..فأين كانت في الصباح ؟

قررت أن أبدأ بالسر الأقرب إليّ، وهو غياب أمي. خرجت لها، وجدتها ساهمة، تنظر إلى لا شيء.. ربت على كتفها لتنتبه إليّ وأنا أشير لها أسألها، فردت على بمنتهى البساطة..

" عدت بعدك، ووجدتك نائمة، و لم أرد إيقاظك. وعند الصباح هرولت للشيخ سعيد، إمام المسجد، لأروى له عما حـــدث علـــه يساعدني ويقرأ عليكِ سورتين، ويصنع لكِ حجاب يحميـــكِ مـــن الجنون المقبل عليك ".

هزت رأسي وربت على كتفها مرة أخرى وضممتها. تتمتـــع هذه السيدة بطيبة وبساطة ، تكفى بلدا! لكم أحبك يا أمي.

فى المساء، كنت قد عقدت العزم على الاتجاه للشاطئ، للسؤال عن ماهية على، إذا كان له وجود من الأساس. بالفعل ذهبت، وظللت أنتظر أن يأتي القوم كعادهم. ولكن طال انتظارى، و لم يأت أحد.

وهنا رأيته.

رأيت على.. كان يسير على حافة الشاطئ.. لا.. إنه يسير على المياه نفسها!.. استعذت بالله من الشيطان الرجيم، وتسللت قبل أن يراني.. كنت أشعر بعينيه خلفي وأنا أهرول متجهة للبيت في ذعر تام .

لم أصدق نفسي وأنا أغلق عليّ باب المترل فى قوة.. ما كل هذا الكابوس الذي أعيشه ؟....جاءتني أمي مهرولة ... باكية عندما رأت ملامحي المذعورة.. لم أستطع الرد عليها .. فقد كانت أنفاسى المتقطعة كفيلة بإسكاتى .. للأبد ..

أسرعت أنظر من النافذة ، لأتأكد من أنه لم يرنى أو يتبعنى.. التفت صارخة، لأجد أمى أمامى، وعلى وجهها علامات النوم والإجهاد.. هزها بصراخى، استغربت للغاية كيف كانت منذ قليل تبكى. أخذت أشير بحركات عصبية أسألها، وهى ترد على فى هدوء

"ما بك يا ابنتي؟ وإلام تنظرين؟"

اتسعت عيناى فى رعب وأنا أسمع طرقات الباب المستمرة.. انزويت على نفسى فى ركن الحجرة، أضع رأسى بين ركبتيّ لأخفى

وجهى وأنا أشير إلى الباب فى جنون.. ذعرت أمـــى مـــن حـــالي، وارتعبت هى الأخرى وهى تحاول تهدئتي

"الباب..؟ ماذا ..؟ هناك أحد بالباب ؟"

الطرقات تزداد وأنا أشير إليها.. وقفـــت حـــائرة، ثم تنهـــدت وجلست بجانبى على الأرض وهى تربت على كتفى

"ليست هناك أى طرقات على الباب يا حبيبة"

ثم أخذت تردد آيات قرآنية وهى تمرر يـــدها علـــى رأســـي.. احتضنتني بشدة وهى تبكي حتى ثقل جفناي، واستسلمت للنعاس.

***

استيقظت متعبة، كأنني ضربت بألف عصا أثناء نومي. غـــرفتي غارقة فى الظلام ..، يبدو أننى نائمة منذ وقت طويل. أعددت العدة للذهاب إلى الشاطئ، وعدت إلى فراشى مرة أخـــرى ، متظـــاهرة بالنوم ،فمنذ أخر رحلة ليلية لى ، وأمى تشدد الحصار عليّ

أخيرا تعدت الساعة الثالثة فجراً ، تسللت خارجة من المـــترل، واتجهت للشاطئ. قبعت فى مكان آخر غير المركب المهجـــور،حتى أراقب الشاطئ دون إعطاء الفرصة لعلى أن يجدنى.

بعد وقت ليس بقصير ، ظهرت المركـــب .. ورســـت علـــى الشاطئ، ونزل الرجال.. لم أنتظر حتى أرى(على).. ذهبت مسرعة

لقائدهم ، وقفت أمامه وأشرت إليه ألقـى التحيـة..التفـت إليّ بدهشة، ونظر إليّ نظرة متشككة

قائلا

" ماذا تريدين ؟"

أخذت أشير له، ثم أخرجت ورقة كتبت عليها أننى أريد سـؤاله عن أحد رجاله.

حانت منه نظرة لرجاله، ثم أخذنى من يدى متجها بعيدا -أعتقد حتى لا أرى ما يفعلونه- ومع ذلك لمحت الكثير والكثير..

ولكن كان هدفى الأول أن أعرف كل شئ عن(علي)..أخـذت أسأله تارة بالإشارة وتارة بالأوراق التى أعددتها وأنا أراقب ملامحـه الصارمة ، التى لانت بعد قليل _أعتقد بعدما تأكد أننى شبه مجنونة_

فى النهاية أخبرنى أنه لا يوجد من بين رجاله أى (علـى) وأن هذه المواصفات غير متوفرة ، ثم ربت على كتفى قائلا

" أنت فتاة شابة.. لا يجوز تواجدك هنا فى هذا الوقت .. مـن الأفضل الا تأتى إلى هنا مجدداً "

أخذت أستحلفه، وأخبره أننى قابلت على أكثر من مرة ، وأنـه تحدث إلى ، فأشار بيده أنه لا يعلم شيئا عن (علي) هذا، وأن رجاله معه للعمل فقط وليس لمعاكسة الفتيات .

أطرقت برأسى فى استسلام وشكرته، ثم مشيت متظاهرة باقتناعي بكلامه .

طوال طريق العودة وأنا أفكر فى لقائى مع الرجل.. أعدت حديثه مئات المرات علىَّ أصل لشيء.. استشعرت الصدق فى كلماته.. ولكن هل أنا مجنونة ؟، أم أن على مجرد حلم ، أو شبح من نسج خيالى؟

رفعت رأسى أنظر للسماء.. كانت ليلة مقمرة، كنت أردد اسمه داخل عقلى، كأننى أنادى عليه

" ترى اين أجدك يا على ؟..."

هنا سمعت صوتا، كأنه قادم من بعيد ، قادم من الظلام ....

رحت أتلفت حولى، أبحث عنه.. وهنا.. ظهر أمامى فجأة ، كأن الأرض

انشقت ، ليخرج هو منها.

تملكنى الرعب و لم أعد أدرى إلى أين ؟

هل أسارع بالهروب إلى المترل ؟.... أم أتبعه إلى البحر ؟.. وضعت

يدى على رأسى ، شعرت بآلام رهيبة بداخلها.. لم يستطع عقلى المسكين احتمال كل هذا .... و انهرت تماما ساقطة فى

غيبوبة، أو إغماءة، لا أعرف على وجه التحديد ، إنه شيء يـــشبه الحلم ...

وجدت فيه علىَ أمامى

" على أين أنت ، هل أنـــت موجـــود ..؟ ....هـــل أنـــت حقيقة..؟"

نظر لى فى هدوء قائلا

" أنتِ فقط يمكنك رؤيتى .. كل من رآنى من قبلك تـــبعنى إلى البحر وغرق.

-قلت فى صراخ مكتوم لم أستطع سماعه:

" إنه .. أنت... أنت من قتلت أخى ....، أنت مـــن تقتـــل شباب القرية "

" قتلهم طمعهم ، ... وليس أنا .. كثيرون كانو يطمعـــون فى الكتر؛ ولكن قليل من لديهم القدرة على رؤيتى "

رددت فى صوت مرتعش:

" إذًا لَم، لم تقتل هؤلاء الرجال؟ ألأنهم يـــأتون هنـــا بغـــرض الاستيلاء على كترك .. أهو ذلك ؟"

رد على فى هدوء مرعب:

" إنهم مجموعة من الحمقى، يأخذون بعض الأوانى ، والتماثيـــل عديمة القيمة"

سألته وأنا منكمشة فى نفسى

" أوليس هذا كنزك ..؟"

لمعت عيناه ، رد قائلا

" كنزى هو ما وجدتيه أنتِ وأخيكِ ، وسعى خلفه كل الغرقى"

اتسعت عيناى فى رعب

" ماذا تقصد؟ .. العملات؟ "

" بل الذهب ، أقصد كل الذهب الذى يـــراه الكـــثيرون ، ولا يخبرون قائد المركب عنه ، ليحتفظـــوا بـــه لأنفـــسهم ، وعنـــدما يعودوا.."

قاطعته فى رعب

" تكون أنت فى انتظارهم "

رد على فى ابتسامة باردة

" بالطبع ، يعجبنى عقلك "

-" عقلى ، وهل تبقى لى أى عقل ، الجميع يوقنون أننى مجنونة "

اقترب منى، حتى شعرت أن أنفاسه- لو كانت له أنفاس- تلفح وجهى

-" أنت نفسك لم ترينى ، أنا موجـــود بـــداخل عقلـــك، فى أحلامك، لكنك تخلطين الواقع بالحلم "

هنا استيقظت ، فتحت عينى فلم أجد أحدا.. نظـــرت حـــولى، وجدتنى ملقاة بجانب الشاطئ.. نهضت مسرعة.. وفى خـــضم مـــا يحدث لى، سقط منى شئ لم ألحظه فى وقتها، لكن ترتبـــت عليـــه الكثير والكثير من الأحداث بعده ذلك.

مر يومان لم أخرج فيهما من البيت إلا لماما، حتى جـــاء هـــذا الصباح ، وسمعت سارينة سيارات الشرطة، مختلطة بأصوات تجمهر لأهل القرية، ففى قريتنا قلما يأتى كل هذا الجمع الغفير من رجال الشرطة.

خرجت مسرعة لأرى ما يجرى ، فإذا بعربة شـــرطة، ومعهـــا عربات أخرى بها رجال كثيرون ، عرفت فيما بعد أنهم علماء آثار، جاءوا ومعهم (فتحى سلامة) ، وهو أحد الفقراء فى بلدنا ، الـــتى تزخر بالكثير منهم. جاء معهم مقيدا.. فكو قيـــوده، ثم أمـــروه أن يدلهم على مكان ما ، سار أمامهم وتبعوه جميعا.. كل هـــذا وأنـــا أتابع الموقف من بين الحشود، التى تراصت تتابع فى فضول.

أخيرا وصل فتحى لموقع معين من الشاطئ ، وأشار لهـــم بأنـــه وجدها هنا. فورا جاء علماء الآثار ، وأخذوا فى البحث. كل هـــذا والجميع غارق فى ذهول. أما أنا فقد بدأت الصورة تتـــضح أمـــام عينى. فلم يكن المكان الذى أشار إليه فتحى إلا مكانى الذى،غفوت فيه منذ يومين.

كان العسكر يحاولون إبعاد المتجمهرين بأى طريقة. أخيرا أخرج الضابط جرابا شفافا به شيء لن يتعرف عليه غيرى أنا والغرقى.. نعم كانت العملة ، التى لم أنتبه لسقوطها .

أخذ علماء الآثار يقارنون بين الرمال على العملة، والرمال على الشاطئ. وبعد مشاورات، قرروا أن، يأتوا بمعدات الغطس، ويقيموا "كردون" حول المنطقة المذكورة. وفى المساء وصلت العربات الكبيره ، تحمل المعدات وعربات أخرى مخصصه للسكن، أعتقد أنها لعلماء الآثار.

استقر الأمر ، ووضعت حراسة للصباح حتى يبدءوا فى البحث.

كنت أشعر بالخوف كثيرا.. كنت على يقين من أن على سيظهر ويقتل هؤلاء العلماء ، لكن .... لم يحدث شيء!.. فأيقنت أنهم لن يجدوا سوى الأوانى أو التماثيل كالعادة.

فى الصباح، بدأت الرحلات إلى قاع البحر . ثم بدأت تظهر البشائر مع أول غطاس ،الذي أكد لهم المعلومة، وخرج ومعه بعض القطع الذهبية. كان الإرهاق باديا على وجه الغطاس، ونزل على ركبتيه.. وهنا علمت أن على لن يتركهم .

وعندما رأيت الذهب، لم أستطع أن أتمالك نفسى .بدأت فى الصراخ وأنا أحاول التكلم ، ولكن أنى لي به.. أخذت أشير ،ولكن ما من مجيب.. جل ما فعلوه هو حملى وإلقائى بعيدا.

لم أيأس.. نهضت واتجهت إليهم مرة أخرى.. أيضا ، لم يهتم لى أحد.. فأخذت قرارى، وهرعت إلى الـــذهب المرتـــب بعنايـــة فى الصناديق، لأحاول أن أعيده إلى البحر ، وأنا أشير لهم بيديّ.. كنت أحاول تحذيرهم ، ولكن بلا فائدة.

أخيرا قيدونى جانبا، ليستطيعو إكمال عملهم ، والتخلص مـــن إزعاجى لهم. وبالطبع أشار أهل البلدة لى كمجنونة، وأخبروهم عن جلوسى عند البحر ليلا ، ووفاة أخى.. وكل تلك الحكايا. وجـــاء الشيخ، الذى ذهبت له أمى ليرقينى، وأخبرهم بزيارة أمى له.

ومن الواضح أن الضابط قد لفت نظره ما أثرته مـــن إزعـــاج ، بالفعل تصرفت بعدم تعقل؛ لكنى لست مجنونة كما يقولون. بعـــد تقييدى جاءت أمى ترجوهم، لكن الضابط كان قد اتخـــذ قـــراره بالتحقيق معى، واحتجزني. أخيرا بعد فترة طالت أو قصرت، انتهى علماء الآثار من إخراج الكنز بالكامل، وبدأت المعدات والعربـــات فى الانسحاب، وتبعتهم العربة التى تقلنى للتحقيق فى القسم التـــابع للمدينة..

وتبعها شخص فقط أنا من رأيته.. كان على قد تتبع الكـــنز، لم يتركهم. حاولت ان أشير لهم لأعلمهم بوجوده ، لكن لم أجـــنِ إلا زيادة إقتناعهم بجنونى.

كل هذا وأمى تصرخ مستجدية رحمتهم، ولكن ما من مجيب.

وصلت إلى القسم التابع وفورا إقتادونى للتحقيق. ولأننى خرساء، كنت أجيب بالكتابة على الأسئلة التى يطرحها على الضابط.

حكيت كل شيء ، عن أخى، وعن الغرقى، وعن العملة الـــتى وجدهّا.. أخبرهم أن على هو سبب وفاة كل من غرق فى القرية ، وأنه يزورنى بإستمرار . سألنى الضابط و لَمَ لم يمنعهم على هذا وأين هو ، فأخبرته أننى رأيته يتبعهم. كتبت له

" على لن يفارق كتره.. سوف يتبعكم لآخر الدنيا"

فى نهاية التحقيق، أيقن الضابط أننى أملك من الجنون ما يفـــوق احتمال بشر ، ولا يجوز أن أبقى خارج المصحة ، وكـــان القـــرار بعرضى على طبيب نفسى لتقيم قواى العقلية.

بالفعل قابلت الطبيب، وكنت صادقة معه جدا.. قصصت عليه كل شيء .. ولله الحمد، لم يقتنع بأى شيء!

وصدر حكمهم على بإيداعى إحدى المـــصحات الحكوميـــة للأمراض النفسية. وها أنا فى غرفة قذرة للغاية.. أصرخ كل يوم.. أكتب على الجدران اسم على.. كتبت على كل جدار أن على لن يتركهم يستولون على كتره..

مازال على يأتيني.. أخبرنى أنه قابع بجانب كتره فى المتحـــف ، وأنه لن يهدأ حتى يعيده إلى مكانه ، فى البلدة القديمة.. نعم، فقـــد أرجع العلماء الكتر لإحدى المدن القديمة التى غرقت فى البحـــر.. لم أعد أعرف فى أى وقت نحن ، فما كان يحدث لى هنا رهيـــب ، لم يهونه إلا وجوده .. وجود على.

الإبريق الأسود

بقلم: روان عبد الكريم

كاتبة مصرية ومترجمة.

صدر لها حالب القمر عن منتدى النص العربي والمعطف الأحمر عن منتدى نور اسلامنا.



أعود للقرية هذه المرة فى العشرين من عمرى، وقد توفيت الجدة الحنون التى طالما تجمعنا من أجلها. يرافقنى هذا الصيف ابن عمى سمير.. نجلس ذاك المساء فى حديقة الاستراحة الريفية، المطلة على النهر العذب. ثم يأتى عبد الصبور، الحارس الصعيدى، ليبدد ملل الليل الطويل ....

ونجد فيه ضالتنا.. ليحكى لنا عبد الصبور عن قرية أخرى، وبلدة أخرى، تقع فى أعماق الصعيد. بلدته هذه كنا نسميها" على حافة الهاوية".. هو كان يسميها "هاوية الجبل".. قرية خاملة، فى أقصى الجنوب، بين النهر والجبل، بلا مرافق، بلا شيء على الإطلاق، خافية عن الانظار. البشر هناك لا تؤثر القرون شيئا يذكر بهم، فما بالك السنون والشهور .

يحكى عبد الصبور عن البتاو - كما يطلق عليه - والجبن القديم، ثم يمصمص شفتيه متلذذا، ومتذكرا وجبة الشهية هذه. بينما يضحك سمير فى سره من سذاجة الرجل، وألكزه برفق كى يصمت، ليعود عبد الصبور ليحكى :-

-كانت هناك.. اسمها سالمة ....وكان هناك.. اسمه عبيد.

هو فى السابعة عشر لم يزل، فتى غضا، يخطو نحو أوائل الشباب... هى بعد فى الحادية عشر، تلك السن الحارة، ليست طفلة، وليست فتاة.

وكاذب من يخبرك ان النساء فى الجنوب ينضجن سريعا.. إنهن فقط يخضعن لقانون القبيلة لا أكثر .. والقانون: الفتاة لابن عمها.

وتحدد موعد الزفاف بعد هطول الأمطار، وحصاد الزرع. أى بعد أربعة أسابيع.

هو حالم بها، متعطش لها.............هى لاهية بلعبتها القطنية المغبرة.. تنهرها الأم لجلب الماء من البئر.. فتذهب الفتاة الطفلة ساخطة ساخطة ..حاملة إبريقها الأسود الثقيل، لتجلب به الماء.

للحق، كان ثقيل، من الحديد، وكانت تحمله بكل همة.. وحين تتأخر، يدق قلب أمها هلعا على الطفلة الوادعة .

فى ضوء المساء الغارب، يخرج الأخ الأكبر ، ثم يعود ملتاعاُ........ لتخرج معه البلدة عن بكرة أبيها.

"بلد نكدةً هى...... ألم أخبركم؟"

يغمم عبد الصبور فى حزن ويكمل:-

- فى ضوء المشاعل، ترقد هى والإبريق فى جوف االبئر.. وقد تهشمت رأسها تماما.. أى إنسان عاقل يرتاع أمام المشهد............

يردد عبد الصبور مرة أخرى:

" ألم أقل لكم، بلدة.. المصائب هذه تطرب لها."

أسأله فى لهفة:

- هل وقعت؟ يا لها من مسكينة!!!!!!!

يضحك عبد الصبور فى خبث..

- كنت هناك.. شاهدت الأمر.

أسأله فى رجاء..

- أكمل أرجوك.. هل قتلت؟

يتجاهل كلامى ويكمل..

- بعد موتها ،قالوا: - قد غسلوا عارهم

اقول مستنكرا :

- تلك الطفلة الغريرة!

فيقول مكررًا:

- نعم.. كانت طفلة. ماتت أمها غما وحزنا؛ ليس من أجلها وحسب.. ولكن ما قيل بشأنها. لقد صـــدق الأب، وصـــدق الأخ لغط الناس فى شرفها . فقط.. لأن البلدة تريد شيئا تعبث به ، يقطع ملل السنين.

ماتت الأم لتلحق بابنتها بعد شهر أو يزيد ، لتقبع معها، منبوذة فى قبر قصي بلا شاهد .

أغمم:

- يا لها من مأساة

- بل واقع يا بنى

- والفتى؟

- عبيد ؟

- نعم!

- تزوج بعد عام أو يزيد، فى احتفال كبير ..أنت تدرك أنـــه لا أهمية للوقت هناك.. وبعد ذلك تركت القرية عدة سنوات.

أغمم فى إحباط:

- يا لها من مسكينة.

يقفز سمير متململاً وهو يقول فى سأم:

قصة مملة.. أين أنت من حكايات الجدة.

يغمز عبد الصبور فى خبث..

- لكن القصة لم تنته.. بل بدأت.

عدت بعد سنوات، لأجد القرية غارقة فى قصة جديدة. فـــذات صباح، وجدت توحيدة عمتها لسالمة إبريقًا أسودا حديـــديا ممتلئـــا بالماء أمام منزلها.. وحين اقتربت منه اختفى. ولأن لكلٍ ممتلكاته فى البلدة، فقد عرفت المرأة لمن الأبريق.

ثم توالى ظهور الإبريق واختفائه أمام كل مـــترل.. وتعـــددت القصص، وعادت القرية لسيرتها الأولى تلوك سيرة سالمة.. وليـــت القرية النكدة هذه اكتفت.. يا ليت.. فما حدث كان مريعاً.

ينصت سمير بإهتمام ،ويسأل:-

- ماذا حدث؟

يكمل عبد الصبور وهو يحرك النار بتؤدة حول وعاء الشاى

- ثم توالت الحكايات ..... حكايات عن شبح الفتـــاة تغـــنى بجانب البئر.. انتشرت حكاية الشبح كالهـــشيم ، وارتـــاعوا أيمـــا ارتياع. ثم اقترح أخبثهم أن ينبشوا قبر الفتاة، ليتأكدوا أنها ترقد فى قبرها.. وقد

فعلوا.

هتفت:

- يا الله! أى شر يحيط بهذه البلدة!

يتلذذ عبد الصبور بارتياعى ويقول:-

- لقد تسببوا فى ذلك العبث الشيطانى،الذى اجتاح كل شيء.. وصار حقيقة. فحين تغرب الشمس ، ويحل الظلام.. يبدأ احتفالهـــا الخاص.. الخاص للغاية.

صرخات الليل تزادد.. طرقات على كل الأبواب. لقد دفعـــوا الثمن غالياً، فلقد عادت لتنتقم.

أسأله فى خفوت:

- وهل حظيت بالانتقام؟

يغمض عبد الصبور عينيه..

- بل أكثر يا ولدى.. لقد أحالت القرية إلى جحيم. كانت تسير فى الطرقات ليلاً، حيث يسمع بوضوح صوت الإبريق وهى تجره.. تمشى فى تؤدة فى كل طرقات البلدة.. ثم تختار الدار التى تطرق أبوابها بعنف.. كان لكل بيت دور،دون تسلسل.. دون أدنى توقع.. لم يكن أحد يجرؤ على السير ليلا فى البلدة.

نهض سمير فارداً جسده فى كسل..

- مجرد شبح هى! لقد هزمتكم مخاوفكم.

عبد الصبور:

- لا ولدى لم يجرؤ أحد على النظر طويلاً إلى عينيها المجوفتين.. لقد جعلت الخوف جزءً من شعائر البلدة المشئومة.. وإبريقها الأسود

المتعطش دوما للدم.. كانت تطرق على الأبواب بحثا عن قاتلها.

أقول له:

- كان من الممكن أن تساعدهم، وتدل على القاتل.

وأكمل فى شك:

- أخبرنى لماذا صمتت؟

ليسكب العجوز بقايا الشاى.. وليطفئ النار المتوهجة.. ويقول:

- وهل يصدق أحد أن حارس الحمل هو قاتله؟

- ماذا تعنى؟ هل هو خطيبها ابن عمها؟ غير معقول!.. كيف؟

- كانت هناك طفلة غضة وحيدة عند البئـــر ، لم تـــدرك أن الذئب يتخفى تحت جلد عبيد.. اعتبرها له ، هكذا ســيكون بعـــد أسابيع،فلما لايأخذها الآن؟.. ولكنها قاومت وصـــرخت.. بـــل ودفعت إبريقها الأسود فى وجهه .

ساعتها، استعرت نيران الذئب، وتحولت الرغبة إلى قتل.. بعنف أمسك الإبريق، وانهال على رأسها، ثم ألقاها هناك فى جوف البئر .

يرنو بعد الصبور ببصره للسماء، وكنا قبيل الفجر ويكمل :-

- فى تلك البلدة الآثمة.. لقد ارتكبت الطفلة أفظع الجـــرائم فى عرفهم بأن ضربت رجلاً .. ثم عاد شبحها ليحيل حيـــاة الرجـــال سوادًا.

أسأله فى خفوت:

- وهل ظفرت بقاتلها؟

- لا يا بنى.. ليست كل النهايات سعيدة. لقد هربوا جميعـــا، ارتحلوا.. ولّوا، وتركوا خلفهم كل شيء.. ومازلت هاوية الجبـــل

على حالها مهجورة .. فقط البائس من يمر بها ليلاً.... فقط البائس من يمر بها ليلاً ....

عندئذ يصمت الرجل المكدود، ويتنهد فى صمت.. لا يقطعه سوى صوت سمير:

- هراء.. كل هذا هراء.. لقد هزمتكم مخاوفكم.

فأمسك بذراعه، بعد أن لمحت الحزن على وجه عبد الصبور، وأقول:

- هيا يا سمير لنتوضأ، فقد اقترب الفجر .

فيمضى معى وهو مازل يردد فى عناد:

- هراء ..كل هذا هراء.. إننى مستعد للذهاب لبلدته هذه بلا أدنى خوف.

أعلم أن سمير لا يعترف بهذه الاشياء فلا أجادله.

حينما ننتهى من الوضوء، أنادى عبد الصبور ليصلى معنا، فلا يرد سوى صوت الحارسين الآخرين، فرج وبديع، وقد أتيا على ندائى، فأسألهما أن يخبرا عبد الصبور ليصلى الفجر.

ينظران إلينا فى وجل وصمت.. ثم يتنحنح أقربهم ليقول:

- عبد الصبور من يا بيه؟

يردد سميرفى سخرية:

- الحارس.. أليس لدينا حارس اسمه عبد الصبور؟

فيقول فرج:

- بلى.. لكن.......

أسأله:

- لكن ماذا ؟

يتمتم بديع:

- لقد مكث هنا أربعة اشهر فقط.. وتوفى منذ عام. لقد دفناه فى الجهة الأخرى من النهر ..لقد كان عجوزاً للغاية.

على الضوء الخافت، ألمح نظرة الرعب على وجه سمير الأبـــيض الشاحب.



أخـتـي

بقلم: مؤمن وهدان

مؤمن وهدان موهبة صغيرة لم تتجاوز الثانية عشر (من مواليد ١٩٩٢) له محاولات قصصية ناجحة. شارك في مجموعة جماعية بعنوان حتى القهـوة أصابها البرود، عن دار أكتب، وحققت قصته هذه المركـز الخـامس في مسابقة فرسان المغارة بالتكية عام ٢٠٠٩.

كما أنه صمم أغلفة بعض إصدارات التكية.



قالت أمي بلهجتها الآمرة:

"ادخل أنت وأختك لتناما الآن."

قمت من أمام فيلمي المفضل آسفا.

قلت لأختي متململاً:

"إنك تبدين غير مهتمة، هذا ظلم.. إن كل الأفلام الجيدة تعرض ليلاً و نحن ننام مبكراً"

قالت أختي بلا مبالاة:

"أنا لا أهتم بهذا ،فباستطاعتي أن أستمتع كيف أشاء ومتى أشاء.

"لم أرد عليها، لأنني ظننت أنها تقصد إغاظتي بأنها ستستمتع، وأنا لن أفعل ــ كعادتها ــ .

وكعادتي أتذمر من طلب الدخول للنوم، ثم أدخل فأنام مباشرةً..!

استغرقت في نوم غير مريح .. حلمت أني سمعت صوت الأزيز الذي أكرهه، والذي يسببه سرير أختي لقفزها عليه كثيرا وهي صغيرة.

استيقظت.. لأرى أختي نائمة على غير عادتها وهي تصدر أصواتا عالية، فخرجت إلى الصالة، لأجد المكان في حالة من الفوضى لم يكن عليها قبل نومي - على ما أتذكر.

حينها، عاد إلى ذهني الحلم الذي رأيته عن خـــروج أخـــتي إلى الصالة.. لكنني أقنعت نفسي أن هذا كان مجرد حلم .

جلست أشاهد إعادة الفيلم الذي كنت أراه البارحـــة، عنـــدما سمعت صوت أختي، فأسرعت لغرفتنا لأحكي لها ما رأيته في منامي. سمعتها تحادث نفسها، فاندفعت فاتحاً الباب.

وجدتها تنظر لي بابتسامة في ظاهرها التحية، ومن باطنـــها شـــر شيطاني خبيث.. وقد طغى الثاني على الأولى بالتدريج.

وقفت مذعوراً وقلت لها متوتراً:

"لقد جئت لألقي عليك تحية الصباح...صباح الخير "

خرجت من الغرفة خائفا، وأغلقت الباب ورائـــي. أســـرعت لأشاهد الفيلم الجديد.. فإذا به عن الجن والعفاريـــت ومخلوقـــات الظلام.!!!!

***

أمضيت كل يومي حتى الليل وأنا ألعب بالـــ (بلايـــستاشن٣) بعيداً عن أختي تماماً. بدا لي أنها مستمتعة بذلك.. ولأول مرة، أشعر بأني أتوق للنوم وأنا غير ناعس... أتمناه مبكرا ، وأنتظر كلمة أمي..

أخيرا..

"كفاك لعبا اليوم.. هيا ادخل لتنام أنت وأختـــك؛ إن الـــساعة العاشرة.

لا أدري ما هذا.. لقد تعودتم النوم في ساعة متأخرة من الليل...!"

أسرعت إلى غرفتنا دون احتجاج، لأحاول النوم بسرعة قبل أن يحدث ما لا أتمناه أبدا.. ظللت مغمضا عينيّ لفترة طويلة محاولاً النوم، حتى سمعت صوت الأزيز، وأختي تقوم من السرير ، وتخرج من الغرفة، ثم تغلق الباب وراءها بهدوء.

حاولت أن أشد النعاس؛ لكن أمواج اليقظة لطمتني، فلم أستطع المقاومة.. في خطوات خفيفة قمت، وفتحت الباب دون أن أصدر أي صوت، لأنني كنت قد دهنت مفاصله بالزيت.. خرجت على أطراف أصابعي في الظلام الدامس الذي كاد أن يفقدني شعوري بالاتجاهات.

فجأةً، تعثرت في الفوضى التي تمتد في الطرقة، فسمعتني، وأتت.

قالت بهدوء:

"ما الذي أتى بك، لقد كنت ذاهبة إلى المطبخ."

نظرت لها نظرة خائفة .. كنت متأكدا من أنها لم تكن ذاهبة إليه، لأنها كانت قد تخطته. لمحت في عينيها نارا مستعرة. كدت أصرخ؛ لكني كتمت الصرخة حتى لا تلاحظ أنني رأيت تلك النار.

ومضت عيناها وهي تقول في لهجة غريبة:

"إنك تبدو خائف يا أخي – واقتربت من وجهي – .. لماذا؟"

كان واضحا في صوتها أنها تعرف..وتعرف جيدا.!

استعدت في ذهني فيلم الرعب الذي كنت أشاهده البارحة وأنا أفكر كيف استطاعت أن ترى في الظلام دون أن تتعثر. جريت إلى حجرتي وأنا خائف من النظر ورائي، لعلها تتحول إلى خفاش كبير!!!!

***

في اليوم التالي، أصبحت لا أنظر إلى أختي، خشية أن أرى تلك النار المشتعلة في عينيها ثانية.. وأصبح الخوف بداخلي هستيريا، حتى أني كلما سمعت صوتها، ظننتها تقرأ التعاويذ أو ما شابه، فأقفز في مكاني.أحيانا كنت أُمنيٍ النفس بالمستحيل - أن يكون كل هذا حلما كبيرا سينتهي قريباً-.

كان الوقت يمر ببطء شديد. بدأت ألّهي نفسي بلعب (البلايستاشن٣) دون أن ألتفت بوجهي بعيدًا عنه، حتى أن أمي قالت أنني أصبحت مهووساً بألعاب الفيديو.

جنَّ علينا الليل وأنا مستمر في اللعب حتى وقت متأخر، وفجأة صرخت فيَ أمي :

"يكفيك ويكفي عينيك هذا.. هيا اذهب لتنام، واغلق هذا الشيء المزعج، لقد أخطأ أباك عندما ابتاعه لك."

ذهبت إلى غرفتي متوجسًا وخائفا.. ورعبي يتزايد مع كل دقيقة. رقدت في سريري، وأدرت ظهري لأختي محاولاً النوم، لكني شعرت

أن النوم يقاومني.... استطعت أن أهزمه أخيراً، لكنني لم أستطع أن أهزم الخوف بداخلي.

صر سرير أختي بأزيز خافت، لكنه أيقظني. لم أفتح عيني عسى أن يعود النوم إليّ سريعاً؛ لكنهً لم يفعل.. وبدأت القشعريرة تسري في جسدي وأختي تفتح الباب.

تسارعت دقات قلبي بشدة.. ثم قررت قرارا مفاجئا،لست أدري أجرئ هو أم طائشٌ.

"سأخرج الآن وأعرف ما تفعله أختي كل ليلة في الظلام."

قمت من سريري.. ومشيت إلى باب الغرفة وأنا أشعر بأن عيني بدأتا التعود على الظلام. وبلا أي صوت، بدأت أمشي في الطرقة على أطراف أصابعي، وأنظر للأرض لأتفادى الفوضى التي عليها.

أخيراً، وصلت إلى نهايتها.. وقد أحسست بأني قد عبرت صحراء واسعة. أحسست بتيار بارد يصدم وجهي.. رأيت أختي تجالس كائنات لم أتبينها، وتتكلم معهم بلغة غريبة.. وفي وسطهم دائرة فيها أشياء عجيبة لم أعرفها.. اقتربت منها ببطء وأنا أفكر ما هذا المجلس الغريب.

فجأة سمعت صوت مخيف يقول لي:

"أخيراً جئت..!"

قاموا كلهم من أماكنهم، وبدوا في الظلمة كأشباح طائرة... بدأوا بالدوران حولي في سرعة شديدة وهم ينظرون إليّ ... لم أتبين

منهم سوى عيونهم البيضاء تماما.. واقتربوا أكثر وأكثر.. و شعرت بألم شديد.

فجأة.. رمى أحدهم خنجر غريب، انغرس في صدري فـــازداد الألم. لكن عجبا.. إنه لم يقتلني، بل جعل الألم يتفجر فيّ.

بدأ جسدي يتحول ليصبح مثلهم..وكل جـــزء تـــتغير هيأتـــه، يصرخ الألم فيه كما لو كان يحترق..

عندما انتهى تحولي تماما، اختفى الألم أيضا.. وشعرت بـــآلاف الأفكار الشريرة تتدفق في عقلي.

قال كبيرنا:

"ها قد انضم عضو جديد، فهيا بنا لنبحث عن طفل آخـــر ذو حظ تعس، لنغسل عقله بسحرنا، ويظن أن صديقتنا أخته."

تحـــــديـث

الطفل

بقلم : عبد العزيز أبو الميراث



تحديث

" انتهى عمل يوم آخر."

فكرت (حنان فهمي)، مهندسة المساحة في مصلحة إدارية، وهي تنهض بصعوبة من مقعدها.. يوم عمل ممل آخر ، تماما كما هي حياتها البائسة.. عزباء في السابعة والثلاثين، بدون أصدقاء، ولا حياة خارج العمل. آلة أخرى أو برنامج رقمي حيَ من تلك البرامج التي تتعامل معها يوميا على شاشة حاسوبها. فقط هناك تلفازها الـ ٥٢ بوصة رفيق لياليها وسهراتها الدائم.

كانت تقطع المسافة القليلة بين سيارتها وباب العمارة التي تقطن فيها، حين لفت نظرها المتجر الجديد أسفل البناية. فتوقفت أمام الواجهة الزجاجية، تشاهد الملابس النسائية لماركات شهيرة. وبقدر إعجابها بما رأت من الموديلات، بقدر ما شعرت بالأسى لأنها لن تستطيع ارتداء قطعة واحدة منها بجسدها ذاك... ولمن عساها سترتدي مثل تلك الملابس؟! فلا أحد توددَ إليها من قبل، وهي وحيدة في شقتها بالطابق العاشر منذ وفاة أمها.

عرجت على صندوق بريدها، ودست الأظرفة والمنشورات الإعلانية في حقيبتها، ثم استقلت المصعد الذي غادره شاب لم تخطئ أذناها عبارة قبيحة هامسة، أطلقها في اتجاه منطقة ما من جغرافيتها.

لم يؤلمها ذلك كثيرا فقد اعتادت التعايش مع تلك التعليقات على جسمها البدين، أو وجهها الذميم.

بمجرد دخولها الشقة، توقفت أمام المرآة عند مدخل الصالة. وضعت حلقة المفاتيح في مكانها، وتأملت جسدها متمتمة لنفسها بصوت هامس:

– معهم كل الحق .. أنا بدينة .. قبيحة وغبية .. ما من شك في أنها علَة في برمجتي .. في بصمتي الجينية.

رمت حقيبتها على طاولة، والتقطت علبة تحكم شغلت بها التلفاز ، الذي يحتل حيزا مهما وسط جدار الصالة، قبل أن تدخل غرفتها لتغير ثيابها.

تخرج حاملة حاسوبها المحمول. وتقضي دقائق عشر وهي تتصفح بريدها ومواقعها المفضلة، أو تنتقل بين قنوات التلفاز لانتقاء برنامج سهرتها.

ثم تركت حاسوبها لتدخل الحمام، وتأخذ دشا سريعا. دخلت بعده المطبخ.. فتحت الثلاجة، وألقت بعض الأكل المجمد في الميكروويف. وعادت إلى تلفازها بالصالة مع عصير وعلبة حلويات، وجلست تقفز بعينيها بين القنوات، حتى رن منبه الميكروويف.

استمر طقسها اليومي، كالعادة، دقيقا كعقارب الساعة. تتناول الغداء، وفي نفس الوقت تشاهد أحد مسلسلاتها على قناة.. ثم بضعة برامج محددة من قنوات مختلفة. تترك قناة الأغاني مفتوحة وهي

تتناول حاسوبها المحمول من جديد، وتبحر في صفحة الفيس بــوك، ومواقع الدردشة، والمنتديات النسائية، ولعبة أونلاين شهيرة تشترك فيها بمبلغ شهري.

وفي وقت متأخر من المساء، كانت قد تناولت وجبــة عــشاء جاهزة طلبتها من مطعمها المعتاد، وودعت صديقا لها من بلد آخــر على شاشة المحادثة في موقع تعارف.

وقبل أن تختار فيلما للسهرة، لفتت نظرها حقيبة يــدها الملقــاة على جانب من طاولة الصالة. كان بريدها الذي لم تطَلــع عليــه هناك. لم تكن تنتظر أن يخرج الأمر عن فواتيرها المعتادة، وعــروض قروض ملغومة أخرى لبنكها، وإعلانات لمتاجر و مدارس خاصــة ومطاعم .. إلخ.

أخدت تتنقل بين الأظرفة والمنشورات بسرعة، وترميهــا علــى سطح الطاولة، منتظرة أن يخيب توقعها. لكن شــيئا مــن هــذا لم يحدث.

غير أنها توقفت قليلا عند منشور أسود، أقــرب إلى "كــارت" دعوة لحفلة، مزخرف بنقوش فضية، ما أن فتحته، حتى وجدت هذه الكلمات:

"لو كانت تفاصيل حياتك قابلة للتحديث .. كيف يــا تــرى ستكون عليها الآن؟"

ودعوة لنقر رابط موقع ما.

لم تفكر كثيرا، وألقت المنشور مع بقية الأظرفة والمنشورات، فقد ألفت حيلا من ذلك النوع على شبكة الأنترنت. لولوج مواقع بيع منتجات تجميل، أو اشتراكات مجلات نسائية تافهة،أو مواقع تعارف للكبار. لكنها مع ذلك وجدت الأمر غريبا أن ينتقل هذا النوع من الدعاية من بريدها الإلكتروني لبريدها الشخصي!.. عادت تلتقط جهاز التحكم، وتختار فيلما على قناة الدراما، وتتابعه شاردة.

ثم ماذا؟.

فكرت متذكرة الإعلان. هل يمكن أن ترجع بالزمن للوراء؟ مستحيل. "لو كانت تفاصيل حياتك قابلة للتحديث". أية جملة هذه؟ وكأن حياتها برنامج من البرامج التي تملأ ذاكرة حاسوبها. هراء.

ولَما كان الفيلم مملاً هذه المرة، فإنها عادت تلتقط حاسوبها، وعيناها تنتقل بين الشاشة المضيئة والمنشور الأسود على سطح الطاولة.

وانتصر فضولها أخيرا، فرقنت عنوان الموقع على المتصفح. وانتظرت صفحة سوداء.. ثم ظهرت نفس الكلمات الفضية التي قرأتها بالمنشور، مع دعوة للدخول على شكل سهم.

نقرته بردة فعل سريعة وهي تتساءل إلى أين سينتهي هذا العبث؟.. لكن الأسطر التالية تركتها تحلق في سماء الحلم.

كان هناك سؤال: لو كانت حياتك قابلة للتغيير، ماذا تختار/تختارين ضمن القائمة التالية لتحديث وجودك؟ وسلسة اختيارات مثيرة مثل " الكثير من النقود"، "قوام رشيق"، "علاقات عاطفية متعددة"، "منصب عمل مرموق"، "أصدقاء كثيرين"، "صحة جيدة" و"منصب سلطة" ...

كانت هناك بضعة اختيارات غير بريئة مثل: "خصوبة قوية" و "السيطرة على الآخرين" ...

هكذا، مأخوذة بجو اللعبة، شرعت (حنان) ترسم تفاصيل حياتها كما تحلم أن تكون. اختارت أن تكون ذات "جسم رقيق" طبعا.. "محيط عمل نشط وحيوي" فقد سئمت روتين عملها.. اختارت أن تكون جذابة وتسحر كل الرجال دون أن ترتبط عاطفيا بواحد منهم، فطالما سببوا لها الحزن والأذى.. أن تعيش وسط الزهور.. أن تكون محاطة بالخدم.. تسافر عبر الجو .. وتكون لها ذرية كثيرة.

واختارت أشياء عديدة، دون حتى أن تفكر فيها جيدا.. إذ أن لاشيء من ذلك حقيقي. مجرد "كويز" آخر من تلك التي يعج بها موقع الفيس بوك وضعه مخبول من المخابيل.

حين انتهت من تعبئة قائمتها، توقفت قليلا عند رابط تشعبي إلى الصفحة الموالية كتب عليه:

أؤكد اختياراتي وأتابع.

ثم العبارة الفظة: "المرجو الانتظار .. جاري التحديث".

وكما هو متوقع. لم يحدث أي شيء. لربع ساعة أو أكثر، ظلت العبارة السابقة على مكانها في الصفحة، حتى ضجرت (حنان) وقررت إغلاق الصفحة.

لكن حاسوبها لم يستجب.جربت كل الطرق الممكنة دون جدوى. بدا وكأن الحاسوب لا يستجيب وحسب.

أطلقت صرخة غضب. كان عليها أن تتوقع أنه موقع ملغوم، التقطت منه أحد الفيروسات. لم تكن على حاسوبها المحمول معلومات حقيقية تخشى عليها بكل الأحوال، فهي تنتظر أشياء كهذه من ترددها على مواقع الدردشة. كل ما عليه وهمي وزائف كما هي الدقائق العشرين التي قضتها مع هذا الموقع اللعين.

كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل بقليل. تركت الحاسوب على الطاولة، وضغطت زر الإيقاف في جهاز التحكم، قبل أن تذهب لغرفتها، وتخلد للنوم استعدادا ليوم عمل آخر ممل.

غير أنها عندما استيقظت وفتحت عينيها،وجدت نفسها في مكان غريب، مع طنين متصاعد حولها.. حيث تجمع جيش من العاملات والذكور يرقصون في نشاط. وكان من واجبها، كملكة نحل جديدة، أن تقود هذا الجيش الصغير.. وتطير بعيدا.. لتكوَن خلية جديدة.

الطـــفل

الطفل الصغير لم يتجاوز الرابعة، قليل الكلام، هـــادئ بـــشكل غريب، عيناه رماديتان كغيوم الخريف.. كعيني والده.

يلعب فوق سجادة الصالة بسيارته البلاستيكية الصغيرة، اللعبـــة الوحيدة التي اشتراها له والده، و لم تستطع انتزاعها منه.

دائما ما يذكرها بأبيه، فقد ورث ملامحـــه، وطباعـــه الهادئـــة المستفزة.

لذلك هي تكرهه!

تتراءى لها صور قاتمة وهي تحاول أن تتصل بالمربية دون جدوى. تشعل سيجارة، وتنفث دخانها بعصبية. والدها ستتأخر اليوم، وهي لن تجالس الطفل وتترك صديقاها ينتظرنها كثيرا في سهرة الليلة.

كانت أرملة منذ سنة أو يزيد، حسبت أن رحيل زوجها السابق سيضع حدا لمعاناها معه، فقد كان يعذبها نفسيا وجسديا، بعـــد أن صرحت له ذات مشاجرة أنها لا تحبه، وأنها تكرهه وتكره أن تنجب منه.

لكنها – تحت التهديد والحصار– أنجبت منه (تامر)، ذلك الطفل الذي كادت تخنقه في أول مرة يوضع بين ذراعيها بعـــد أن لفظـــه رحمها. ودخلت بسبب ذلك، لفترة قصيرة، مصحة نفسية.

يرن الهاتف أخيرا في الطرف الآخر. توبخ المربية قليلا، ترفع صوتها وتهددها. عيناها تكادان تخترقان ظهر الطفل الهادئ على بعد أمتار منها، كأن وجودها لا يعنيه من الأساس مهما أصدرت من ضجة.

بعد وفاة زوجها عاشت أسعد أيام حياتها، أحست أنها العصفور الذي انطلق فجأة خارجا من القفص، وطار إلى حدود السماء، سافرت وتجولت كثيرا، وربطت علاقات متعددة، حتى استقر قلبها عند (كامل)

تدخل غرفتها وتعتني بزينتها أمام المرآة. سهرة الليلة خاصة جدا، فقد عاد (كامل) من (لندن) وهي لم تره منذ شهرين.

كان (كامل) شخصا رائعا، لم تحلم بأفضل منه فارسا لها، وتمنت لو عرفته قبل زواجها الأول. كل من تعرفت عليه بعد وفاة زوجها كان يتودد إليها طمعا في ثروته. لكن (كاملا) أحبها، وأنصت إلى روحها وقلقها، وفوق ذلك كله، طلب يدها للزواج..

بشرط..

كان يريدها هي، وهي وحدها.

تلقي نظرة أخيرة على وجهها في المرآة بزينتها الكاملة. تنظر لساعة يدها الذهبية بتوتر قبل أن تلتقط هاتفها، وتركب رقم المربية تستحثها على الإسراع.

فعلت كل شيء.

كان وجود والدها يشكل عقبة بادئ الأمر، فهي تحب (تـــامر) كثيرا. وفشلت محاولتها الأولى لتسميم الطفل. الطعام الذي جلبتـــه من الخارج كان فاسدا وقد تناولت أقراص مضادات حيويـــة قبـــل العشاء ودست لوالدها قرصين مع دواءها المعتاد، لكنها فوجئت بأن الطفل يدعي ألما بمعدته، ويصعد إلى غرفته رفقة جدته. ويتركاهـــا تفرغ ما أكلت في طبقها.

وضعت كل مساحيق الغسيل، والمنظفات القويـــة، ومبيـــدات الحشرات والفئران في متناوله. لكنه أبدا لم يكـــن ذلـــك الطفـــل المستكشف، لم يفتح دولابا واحدا، أو يلمس علبة واحـــدة. حـــتى اضطرت إلى وضع قارورة مبيد مفتوحة في يـــده، بحجـــة رميهـــا بالخارج. لكنه عاد إليها سليما ضدا في كل ما خططت له.

تركت أسلاكا عارية في كل مكان ليصعق. ســـكاكين وأدوات حادة. تركته أكثر من مرة وحيدا داخل سيارها مع المفاتيح. أخذته بعيدا في رحلة بالسيارة، وتركته وحيدا داخلها، ووسط غابة مقفرة لساعة من الزمن، متمنية أن يغامر بالخروج والتيـــه في لا مكـــان. صعدت معه إلى أبراج عالية ومرتفعات. ارتـــادت معـــه أمـــاكن مهجورة خطرة، لم تتخيل أن تطأ أرضها يوما.

كثيرا ما تمنت أن تغرز سكين المطبخ في حلقه، وتجز رقبته حـــتى تفصل رأسه عن باقي جسده، وتسبح منتـــشية في بركـــة الـــدماء

الساخنة وهي تفر من جسده الذي ينتفض كدجاجة مذبوحة تلفظ بقية من روحها.

لكنها لم تكن لتخاطر أن تتهم بقتله، أو حتى تشتبه بذلك، بالنظر إلى سابقتها الأولى ودخولها المصحة بعدها. ولقد حصلت على وصاية الطفل بصعوبة بعد وفاة والده. لكنها بلغت بالفعل في مراميها لقتل الصبي أقصى ما فكرت فيه.

ففي آخر محاولة، افتعلت حادثة بالسيارة، وكان الطفل بالمقعد الأمامي بدون حزام السلامة، وبينما قضت هي فترة بالمستشفى وساقها بالجبس، خرج هو سليما معافى إلا من رضوض بسيطة.

لكن خطتها الليلة عبقرية، ولا فكاك للطفل منها، ولو تدخلت كل أيادي القدر لمنعها. لقد استهلك ذلك القط البغيض أرواحه كلها. والليلة سيحين أجله، وستنال هي حريتها من جديد.

تنظر من النافذة، وترى الميكروباص الذي يقف أسفل البيت والمربية التي تغادره، تسلم على البواب وتدخل.

تتأكد من إغلاق النافذة، مثل كل نوافذ المترل، وتعرج على المطبخ. تفتح أنابيب الغاز، وقد أفسدت مفاتيح الموقد. كانت المربية مصابة بالبرد لذلك هي في إجازة؛ لكنها أقنعتها بمجالسة الصبي الليلة، فقط لأن حاسة الشم لديها لا تعمل. تتخيل ماذا سيحدث بعدها. تدخل المربية إلى المطبخ. تشعل عود الكبريت الذي سيكون

خلاصها. النار تلتهم البيت، وتحرق كل ماضيها وبؤسها وشقاءها.

تنزل درجات السلم وهي تسمع باب المنزل يفتح، ما هـي إلا ساعات وينتهي كل شيء. فجأة تدور الدنيا بها، غمامـة رماديـة تغطي عينيها دون أن تستطيع إطلاق صرخة.

عند أسفل السلم، انقشعت الغمامة عـن عينيهـا. تـداخلت الأصوات ورن صفير حاد في أذنيها. فطنت إلى أنها فقدت القـدرة على الكلام والحركة، لأن المربية كانت تتكلم كثيرا وبانفعال، دون أن تصرخ في وجهها لتجعلها تصمت. كان الألم الذي تـشعر بـه فوق التصور،وفوق الخيال.

تغادر المربية من مجال بصرها الذي صار محددا وهـي تـصرخ طالبة النجدة. فجأة يدخل في إطار الصورة الطفل (تـامر(.بمنامتـه الزرقاء. يتوجه إليها بهدوء جعل قلبها يخفق جزعة. عيناه مخيفتـان، وقد بدتا في تلك اللحظة أكثر شبها بعيني والده. والده الذي قتلتـه غير آسفة.

ينحني الطفل على مقربة منها، ويدس يده أسفل جسمها، وهي تتابع حركته ببصرها فقط، الجزء الوحيد الذي أصبحت تتحكم فيه من جسدها. ترتفع يده حاملة سيارته اللعبة، وهو يغادر إلى غرفته. وتتسع عيناها هي مدركة كل شيء.

ليلة طويلة باردة

بقلم : روان عبدالكريم



كانت ليلة شبه مظلمة فى أواخر الشهر العربى، وقد جلست وحيدًا لليوم الثانى على التوالى، فى إنتظار زميلى المنوط حضوره الأمس. وكان لابد لى من الإبلاغ عنه اليوم، لكنى تريثت حتى الصباح..

الجيش قاسى، وهو يرفع مبدأ حكم النفس، وما أدراكم ما هو حكم النفس. إلا أن الأمر ليس شاقاً لمجند عسكرى مثلى، يعتبر نفسه محظوظاً لتأديته الخدمة العسكرية، بعيدًا عن جو المعسكرات الشاق، فى إحدى محطات تموين الوقود الوطنية، التى تقع بين مفارق طرق سفر... فى منطقة صحراواية مهجورة، لا تكاد تلمح فيها سوى معسكرات الجيش المغلقة. خلف الجبل الصامت، وكثير من المقابر على الجهة الأخرى.

جلست فى مقعدى البالى، وقد داعب النوم السارق جفونى بحدة، حتى أنى لم أنتبه للخطوات الرتيبة على الأسفلت تقترب منى.... أيقظنى صوته البارد كبرد هذه الليلة..

"ايه يا دفعة"

استرعى انتباهى الفتى الأسمر الصعيدى النحيل، فى زيه العسكرى المليء بالثقوب، وذقنه غير الحليقة، وعينيه الحمراوين، كأنما مرت عليه ألف ليلة ساهراً.. فركت عينيَّ في إرهاق مستغرباً، وقد جلس بجانبى – لا أعرف من أين أتى بالكرسى الذى يجلس عليه– .... وقبل أن أتفوه بكلمة، بدد حيرتى:–

"أنا زميلك.. ذلك المفروض أن يتسلم مكانه معك منذ يومين".

نظرت إليه وأنا أتثاءب و لم أعلق، وإن شعرت بالارتيـــاح لمـــن يؤنس وحدتى فى هذا المكان المقفر. سألته :-

"تشرب شاى؟.."

فأومأ فى راحة.. أعطيته كوب شاى نصف دافئ من التـــرمس خاصتى.. شمه بأنفه دون أن يرتشفه :-

"تحبونه خفيف أيها القاهريون، ككل أشيائكم المترفة والناعمة"

تجاهلت عبارته وأنا أرتشف قليلاً من الشاى، وقد شـــعر هـــو بجفائى من طريقته الجافة، حتى وهو يسألنى عن أسمى .

أجبته:-

"عاصم"

ضحك ببرود..

"والآخر كان اسمه "هيثم"

ثم أكمل فى سخرية:

" إننا لانسمى مثل هذه الأسماء للفتيات"

عندئذ تملكنى الغيظ من الفتى الحاقد علـــى ســـكان القـــاهرة المغموسين فى زخام التلوث..سألته بدورى:

" ما أسمك؟"

"حجاج.. من الأقصر"

ضحكت فى خفة أغاظته...

"كل سكان الأقصر لا يخرجون عن حجاج أو حجيج أو أبو الحجاج"

نظر لى بنصف عين:-

"صحيح.. رفيق هيثم كان يدعى صلاح أبو الحجاج.. كان من الفقر بحيث أن هبات هيثم القليلة كانت ثروة الدنيا بالنسبة له، مقابل أن يحل محل الأخ هيثم الذى يعود لبيته وينام قرير العين فى فراشه الدافئ، بينما صاحبنا سعيد بوحدته وندرة السيارات فى الليل.

لكن البائس كان مخطئا ..كان مخطئا للغاية ..."

ثم صمت، وعاد لتشمم الشاى الساخن والمتصاعد بخاره من بين يديه.. وحينما طال صمته، قلت دون أن أعلق على ثرثرته :-

"يبدو أنها ليلة طويلة باردة"

لم يلتفت لى.. بل رنا ببصره إلى الطريق المواجه للمحطة حيث المقابر المظلمة الشائهة تحت نور القمر الخافت، وثمة ريح تعبث بالتراب حولها فتثيره غبارا أهوجا، وتثير الرجفة فى أوصالى، بينما الجالس بجانبى يأتى صوته عميقا سحيقًا:-

"فى ليلة مثل هذه.. كان صلاح وحيدا تماما فى آخر ساعات الليل... يدندن بلحن شهير راح أيام التسعينات لمنير..

"بندهك يا طير مهاجر.. يرجع الصبح المسافر"

وبينما هو فى حالة من الارتخاء، اذا بخطوات غير منتظمة، قوية، تجعله ينتبه بشدة.. حينما جال ببصره، لم يجد شيئاً يذكر، فعاد للغناء مرة أخرى..

"بندهك صانع وتاجر .. بندهك فلاح وبنا"

ولكن الخطوات عادت مرة أخرى أكثر ارتفاعا ....فزاغ بصر صاحبنا، وانتفض.. التفت يمينا ويسارا وهو يحملق فى الطرقات الخالية حوله دون جدوى.. ثم ربتت يد باردة بخفة على ظهره، فانتفض بعنف و.....

عند هذه الجزء ارتعشت، وتوترت .. بينما حجاج يبتسم ابتسامة واسعة مقيتة، أظهرت السنة الفضية فى أسنانه وهى تلمع بشدة.

تنهدت :-

"كفى.. لا أريد المزيد "....

لكنه أكمل متجاهلاً خوفى:

"كانت صاحبة اليد فتاة شابة فى أوائل العشرينات.. نحيفة للغاية، ذات شعر قصير ناعم، ترتدى بدلة جلدية سوداء لامعة ، تكلمت بصوت واهن:-

سيارتى نفذ منها الوقود هل تستطيع مساعدتى؟؟؟

كان الفتى من الشهامة بأن يتبعها بكل همــة، وهــى تخــبره أن السيارة على الجانب الآخر.. تبعها حتى السيارة الصغيرة البيــضاء الرابضة وسط الطريق، بجانب المقابر . وقد توقفت الفتاة بجانبها، ثم عبرتها لتغوص فى قلب المقابر المظلم.. وصاحبنا يناديها:- إلى أيــن؟ توقفى!

وقد وقف محتارا فيما يفعله.. فاتجه للسيارة، عله يضيء أنوارها لترشده. وما أن اقترب من السيارة، حتى غاص قلبه بين ضــلوعه.. فقد كانت هناك"

سألته فى خوف:

"من التى كانت هناك؟ "

ضحك فى غموض..

"من تظن؟ الفتاة بالطبع.. وقد تمزق جسدها على نحــو بــشع نتيجة الحادث.. وقد امتدت يدها مرتجفة دامية و....."

زفرت وقد نهضت فى ضيق:-

"قصة سخيفة"

همس فى غموض:

" لم تكن هذه نهاية القصة.."

"كفى.. لا أريد.."

أكمل بكل سماجة:-

"طار صاحبنا كالمجنون عبر الطريق، و لم ينتبه للناقلة الضخمة التى دهسته ومضت.. تمزق المسكين لأشلاء هنا ... "

وأشار لموضع أمام المحطة... خيل لى أنى أرى الأشلاء تترف فى شدة، والرياح تقذفها فى عنف، فذهلت لوهلة .. إلا أن سيارة دخلت فى هذه اللحظة للتموين، فقلت للرفيق اللزج وأنا أسير نحوها بكل همة.:

" حان وقت العمل"

كانت سيارة من النوع الرياضى، وبها رجل فى أوائل الأربعينات. بعد أن دفع مبلغ تموين الوقود، سألني عن مياه خضراء لمبرد السيارة لأن سفره طويل.

ناديت حجاج كى يأتينى بالمياه من الداخل، ولكنه اختفى وتلاشى، تاركاً خلفه كوب الشاى الساخن... حانت منى التفاتة جهة المقابر ،فلم أجد سوى الظلام يلفها، وثمة سنة فضية تلمع بشدة، وضحكة عابثة تدوى فى خفوت.

كان صاحب السيارة قد مل من الانتظار، فأدار المحرك وأبتعد. وصارت سيارته كنقطة صغيرة مضيئة على الطريق، ثم ما لبثت أن

زوت تاركة إياى والخوف، والضحكة الخافتة الـــشامتة، وذلــك الصوت العابث الآتى من بعيد يدندن:-

طقطة فرن الخبيز

صلصة جرس المعيز

يرجع الصبح المسافر

ثمة خطوات تقترب وتقترب.. ويد باردة توضع على كتفى ... نظرت بارتياع إليها.. وقد وقف شعر رأسى وهى ببذلتها السوداء اللامعة همس بصوت كالفحيح:-

"نفذ الوقود من سيارتى وهى على جانب الطريق.. فهل تستطيع مساعدتى و؟؟

وشم

لماذا يا وسيم؟

بقلم: مصطفى اليماني

كاتب شاب، عضو بجماعة التكية الأدبية وورشتها الإبداعية برئاسة د/ سيد البحراوي. مهتم بأدب الرعب والخيال. فاز بالنشر في مسابقة التكية لأدب الرعب المحلي.



وشم

أركض وكل رجال البلدة يركضون ورائي.. أصرخ:

"ابتعدواااااااا"، ويصرخون:

"توقف أيها الوغد"..

لا أذكر أنني ركضت هكذا من قبل.. العرق ينهمر من جبهتي كشلالاتٍ تتدفق من أعلى؛ لتصطدم بالصخور.. صوت دقات قلبي يعلو.. يعلو فوق أصواتهم.. هل أتوقف؟.. لن أستطيع المواصلة أكثر من ذلك.. توقفت.. أخذ نفسا عميقا أملأ به رئتيّ، كأنه النفْس الأخير لي في الحياة.. هو النفْس الأخير بالفعل.. لقد وصلوا.. وصلوا مُلوّحين بمشاعلهم، وفؤوسهم.. أنا الآن أقف في مواجهتهم.. حسنا، فليفعلوا بي ما يشاءون، فلن أستطيع الركض أكثر من ذلك.. يتقدم أحدهم ويقول:

"فلننهِ الأمر هنا والآن"!..

ليتهم يفعلون، ولكن كبيرهم يتقدم، ويهدئ من ثورتهم قليلاً.. ينظر لي بعينين تنثران الشرر من كثرة غضبه.. يرفع صوته ويقول:

"لا.. سنتبع الطقوس.. بعد ثلاثة ليالي ستكون نهايته".

أمر بضعة رجال باصطحابي.. نعم، لا مانع من بضعة ركلات، مع لكمات في المعدة.. لن يكون هناك فرق مع رجل ميت.

الليلة الثالثة.. تمر الليالي سريعًا حينما تكون مُقدِمِ على الموت..
لابد أن الليل يريد التخلص مني بسرعة مثلـــهم.. بـــاب الزنزانـــة
الحديدي يُفتَح، ومنه يدخل رجلان قذران يجرّاني وهمـــا يتمتمـــان
ببعض كلماتٍ، ويرتجفان.. لم آكل منذ ثلاث ليالي، وأنا واهن حتى
على الموت.

الخارج، حيث الليل ينتظر قدومي؛ كما كنت أنتظـــر قدومـــه،
وحيث الغيوم تتجمع بكثرة أمام القمـــر لتحجـــب عـــني ضـــوءه
الخافت.. ربما هُم أيضا يظنون أنني ملعون؛ وبالتالي لا أستحق ضوء
القمر..

يصطحبني الرجلان إلى حيث ينتظر بضعة رجـــال آخـــرون..
يفسحون؛ ليظهر ذلك الصليب الخشبي الكبير.. لا!.. أيها الحمقى،
ماذا ستفعلون بي؟.. أحاول أن أتملص وهـــم يثبتـــونني بقـــوة إلى
الصليب.. أصرخ أن:

"لاااااااااا"

ولكن لا فائدة.. وضعوني على الصليب، وأتى رجلان يحمـــل
كل منهما مسمار كبير في يد، وفي اليد الأخرى مطرقة.. ثبت كل
منهما إحدى يدي على الصليبً.. كل دقة من دقاتهمـــا تـــصحبها
صرخة ألم مني.. يدقان وأصرخ.. يدقان وأصرخ.. أهذا هو الألم..
أم الموت.

***

هل فقدت الوعي.. أعتقد أنني فقدت وعيي ... أفتح عيني ببطء.. أشعر بدوار شديد.. أنظر من أعلى حيث رفعوا الصليب الخشبي؛ لينتصب على الأرض.. ماذا سيفعلون؟.. معصميا يؤلمانني بشدة، والدوار يزيد.. لقد أوقدوا نارا على شكل دائرة من حولي، وأتى ذلك الكبير ليقف أمامي.. أنظر له وأسأله:

- "ماذا فعلت"؟.

ليجيب:

- "لقد كنت آخر من دخلوا البلدة في الأيام الأخيرة. وفي الأيام الأخيرة فقط، حدثت حوادث القتل الغريبة.. لقد رأى الرجال وشم الشيطان على جبهتك.. بعد قليل ستتلاشى الغيوم من أمام القمر، وستظهر حقيقتك الشيطانية.. سيظهر المذءوب من داخلك".

صحت فيه:

- مذءوب؟!.

- "نعم، ووقتها يمكننا قتلك على حقيقتك الشيطانية".

شيطانيه؟!.. الملاعين.. تلك الوحمة على جبهتي وُلِدت بها، ويقول وشم الشيطان، ولكن.. ماذا لو كان على حق.. ماذا لو كنت مذءوبا بالفعل؟.. لقد سمعت عن هؤلاء البشر الذين يتحولون في الليالي التي يكتمل فيها القمر ويصبح بدرا.. يُقال أنهم لا يشعرون بأنفسهم، لا يعرفون ما يفعلون وقتها.. يا إلهي.. الغيوم

تنقشع بالفعل الآن.. الآن ستظهر حقيقتي التي لم أكــن أعرفهــا.. أشعر بجلدي يتمزق.. أشعر بـــ... لا شيء.. لم يحدث شيء عندما ظهر القمر..

يقف الجميع في الأسفل متعجبين بِشدّة.. أضحك.. أضـــحك.. أرأيتم أيها الحمقى.. لم يحدث شيء.. لا يوجد مذءوب، أو أيا من تلك الخرافات التي تؤمنون بها.

ولكن.. مهلاً.. هناك.. ما هذا الوشم الغريب الذي بدأ يظهـــر على جبهة الرجل الكبير؟.. ينظر له الجميع.. يبتعدون عنه.. يقـــول أحدهم بصوتٍ خافت: "إنه هو".. يصرخ بِشدّة ذلـــك الرجـــل الكبير.. يركض الجميع من حوله في هلع.. الغيوم تتجمـــع ثانيـــةً، ولكن هذه المرة أتت من أجل الأمطار، لا من أجل إخفاء القمر..

يرتمي على الأرض.. يصرخ، بل يعوي.. تجحظ عيناه، وتتمزق ملابسه، ويغطي الشعر الغزير جسده.. البرق يلتمع في الـــسماء، ثم الرعد، ويليهما صوت العواء المخيف لذلك المخلوق.. أغمض عيني، وأترك قطرات المطر تضرب وجهي، لعلها تغسل خطاياي السابقة، وأدعو.. أدعو أن تكون النهاية سريعة..

***

هل هو الصباح؟.. أفتح عيني على قطرات المطر الخفيفـــة الـــتي تصطدم بوجهي في رفق، وآشعة الشمس ترسل خيوطها الذهبيـــة؛

لتُمحو من عيني بقايا الليل.. ما زلت مُعلّقاً على ذلك الصليب، وما زال معصميّ يؤلماني من تلك المسامير المُثبّتة فيهما.. أنظـــر تحـــتي؛ لأجد تلك الأشلاء تنتشر على الأرض، وبقع الدماء تُكوّن بحـــيرات صغيرة .. أصرخ:

"هل مِن أحدٍ هُنا!!!!"؟

لمــاذا يا وســيم؟

ماذا دهاك يا (وسيم)؟.. ماذا حدث لك؟.. أنت لم تعد أنــت بالتأكيد، أعرفك أكثر من نفسك، ولن تــستطيع خــداعي.. في الماضي كُنت ذلك الشاب اليافع، المقبل على الحياة.. كُنت ترتدي أزهى الألوان، وابتسامتك لم تكن تفارق وجهك.. أما الآن، فأنت شخص آخر.. غير ذلك الذي كنت ألتقط معه الصور في الماضــي، نخرج سوياً، نتحدث مع الفتيات.. الآن ترتدي الأســود دائمــا، وجهك مُظلِم دائما، والانحناءة لا تفارق رأسك.. نعم، أعــرف أن موت والدتنا لم يكن بالأمر اليسير.. لم يكن باليسير علــي أيــضا صدقني، ولكني تخطيته؛ لأستطيع مواصلة الحياة.. نعم، أذكر والدتنا بالتأكيد.. وجهها المضيء، وحضنها الدافئ في الليــالي المُقبِــضة.. أذكر قبلتها التي كانت تطبعها على وجنتينا كل صباح داعيــة لنــا بالتوفيق وسعة الرزق، ولكن..

ماذا كان في وسعنا أن نفعل؟.. هذا قضاء الله، ولن يستطيع أحد معارضته، ولا تغييره.. من وقتها وأنت على هذا الحال.. تغلق باب غرفتك عليك، ولا تخرج أبداً.. لطالما كنت أكثر تعلّقاً بها، بحكــم صغر سنك.. لم ينجح أحد في إخراجك من هذه الحالــة ســوى (رانيا)..

هل تذكر (رانيا)؟.. فتاة الجيران التي كنت تختلس النظر إليهــا

كُلّما وقفت في الشرفة.. كانت تستحق اهتمامك بالفعل، وبالفعل نجحت في نيل اهتمامها، وأصبحتما صديقين، ثم حبيبين.. هي الوحيدة التي نجحت في إخراجك من غرفتك، بعدما فشلت مُحاولات الجميع.. ولكنها هي أيضا لم يكن مكتوبا لها أن تعيش أكثر من ذلك.. سائق السيارة الأحمق الذي دهسها أمام عينيك كان مخمورًا، كما عرفوا أثناء التحقيق معه.. رؤية الفتاة التي أحببتها بهذا الشكل لم تكن بالأمر الهين.. كان المنظر مُخيفا بالتأكيد وصادما.. أن ترى فتاتك مسجاة على الأرض غارقة في دمائها.. بالتأكيد تسمّرت في مكانك كثيرا فاغرا فاك، قبل أن تقترب منها وتلمس وجهها بيدك.. تتأملها.. ثم تسقط أرضا بجانبها فاقد الوعي..

استعدت وعيك في المستشفى، وظللت تصرخ مُفجّراً كل الأحزان التي لم تقوَ على إخراجها وأنت أمامها.. كنت تريد الانتحار، وبالفعل حاولت القفز من النافذة.. وجرح معصمك بقطعة من الزجاج..

كانت حالتك سيئة للغاية، لدرجة أن الطبيب أمر بتقييدك إلى الفِراش.. كان مؤلماً أن أراك هكذا يا أخي، ولكن لم يكن في مقدوري شيئا لأفعله.. بعد سبعة أيام تعافيت نسبيا، وسمح الطبيب لك بالخروج.. ولكنني كنت أرى أن داخلك يزداد سوءً بالتأكيد.. كنت أستطيع رؤية ذلك في عينيك..

في الفترة الأخيرة كنت تخرج كثيرًا بعد منتصف الليل.. كنت تتأكد من نومي ثم تخرج، ولكنني لم أكن.. أنت تعلم أن نومي خفيف، وأستطيع سماع أقل صوت وأنا نائم.. لماذا كنت تخرج ليلاً، ولماذا لم تكن تريدني أن أعرف؟؟..

تجلب معك أشياءً مُغلّفة داخل أقمشة بيضاء يشبه أكفان الموتى.. كتب قديمة، ذات منظر غريب.. أنت، الذي لم تهتم يوما بالقراءة، تأتي حاملاً هذا الكم من الكُتب ذات الورق المصفر.. تجلس في غرفتك بالساعات، ولا تأكل إلاّ القليل.. لم تعد تتحدث معي، أو مع غيري.. حتى والد (رانيا) تخطى محنته قليلاً، وجاء ليطمئن عليك، ولكن ردك عليه كان غريباً:

- هي لم تمت.. هي فقط في راحة، ولكنها ستعود.. والدتي أيضا في راحة، وستعود أيضا.. ستعودان معاً.

غادر الرجل وهو يحوقل.. وقتها لم أكن أعرف أنك تقصد ما تقول.. لماذا لم تصارحني يا (وسيم).. لماذا؟؟.

***

تدهورت حالتك من السيء للأسوأ.. أصبحت لا تستحم، ولا تقرب المياه.. فقط تخرج ليلاً كل يوم، لتعود قبل آذان الفجر، وقبل أن تمتلئ الشوارع بالمصلين.. أذكر أنني حاولت التقرب منك، والحديث معك، ولكنك كنت تحبط أية محاولة.. حاولت دفعك

للصلاة مرة أخرى.. حتى صلاة الجُمعة التي كنت تحرص على آدائها في المسجد، لم تعد تُصلّيها أيضاً.. حكيت للشيخ (حامد) ما يحدث لك، وأتيت به ليتحدث معك، ولكنك نهرته عندما أخبرك أن الموتى لا يعودون، ونهض الرجل من أمامك، وقبل أن يغادر قال لي:

-أحترس على أخاك.. لا تتركه وحده.

قلق من نوع غريب انتقل لي في هذا اليوم.. وقررت أن أراقبك.

***

الليل

الليل يدنو، ويطفئ الشمس، ليضيء الكون بالنجوم الصغيرة.. انتظرت حتى تأكدت من أنني نائم -أو هكذا كنت تظن- وخرجت.. كنت أنا وراءك.. وكنت أنت تحمل في يدك كيسا بلاستيكيا أسود كبير، وفي اليد الأخرى كتاب من تلك الكتب القديمة.. سيرا على الأقدام ذهبت، وأنا وراءك.. لم أكن أعرف إلى أين، ولكنني شككت في الأمر .. ثم عرفت أي طرق تتخذ.. كنت تتجه إلى المقابر.

الظلام

الظلام يحيط بنا الآن.. منطقة المقابر غير المأهولة.. فقط الموت هو ما يسكنها، والتُربي العجوز الذي هو أقرب للموت أيضا.. ما

الذي قد يدفعك للمجيء لهذا المكان يا (وسيم)؟.. أنت الذي كنت تخاف، وترفض المجيء معنا، عندما كُنّا نمشي وراء جنازة.. لماذا تأتي حاملاً ما في يدك؟.. هكذا دخلت، وأنا وراءك مُحافظاً على المسافة بيننا، وهدوء خطواتي.. ليتك أخبرتني يا (وسيم).

المقابر

المقابر الجاثمة كوحوش نائمة في الظلام.. مشينا بينها، وفي كل خطوة كنت أخطوها، كان يزداد يقيني بما أنت مُقدِم على فعله.. لا أعرف لِماذا لم أوقفك.. لقد كنت مثل المشاهد، الذي يتابع الفيلم في صمت، وينتظر النهاية.. عندما توقفت أنت، وقفت أنا على بُعد منك، أتوارى وراء شاهد أحد القبور، أطل بعيني لأرى ما تفعله..

كنت تقف أمام إحدى حجرات الدفن.. حجرة عائلة (رانيا) بالتحديد.. تركت ما في يدك على الأرض، مددت يدك داخل الكيس البلاستيكي، وأخرجت تلك العتلة الصغيرة، ثم بدأت تكسر القفل والجنزير اللذان يغلقان الباب الحديدي.. لماذا يا (وسيم)؟.

ما حدث

ماحدث بعد ذلك لم أكن لأتخيله، ولا في أكثر أحلامي شرًا.. لا زلت أتعجب من عدم اعتراضي طريقك، وأنت تفعل ما فعلته.. دخلت حجرة الدفن.. غبت قليلاً.. خرجت وأنت تحمل شيئًا ما على كتفك.

استطعت وقتها تخمين ما بداخل هذه الأكفان.. اتجهت نحو حجرة الدفن الخاصة بنا.. كان معك المفتاح الخاص بها بالطبع، ولكن لا أعرف لما لم تستخدمه.. ظللت تطرق بالعتلة الحديدية على الجنزير كي تفك حلقاته من بعضها.. تطرق وتصرخ.. تصرخ وتطرق.. أخيراً كسرت الجنزير، ثم ضربت الباب بقدمك، وحملت ذلك الجسد ودخلت.. ليتك أخبرتني يا وسيم.

ماحدث بالداخل كان في وسعه أن يسعد كل شياطين الدنيا، وشياطين جُهنّم.. كان في وسعي تخيل كل ما يدور بالداخل نوعا، ولكني فضّلت أن أراقب كل ما يحدث عن كثب.. دنوت من تلك الفتحة الصغيرة في الجدار، ونظرت بعيني أراقبك.. أراقبك وأنت تُخرِج والدتنا من مدفنها تحت الأرض، وأراقبك وأنت تضعها بجانب (رانيا)، وتكشف وجهيهما.. أراقبك وأنت تتجرد من ملابسك، إلاّ ما يستر عورتك.. تمد يدك داخل الكيس البلاستيكي، وتُخرِج قطعة حجر صغيرة غريبة الشكل، أقرب للفحم هي؛ لأنها سمحْت بأن ترسم بها تلك النجمة الخُماسية على الأرض.. حركت جسد والدتنا و(رانيا) ليصبح رأس كل منهما في زاوية من زوايا النجمة.. أخرجت خنجراً من الكيس البلاستيكي، ووضعته بجانبك، ثم وقفت في منتصف النجمة.. وبدأت تقرأ من الكتاب.

كنت في تلك اللحظة أتابع ما يحدث، مذهولاً لا أُحرّك جفنا.. أعتقد أنني تسمّرت في مكاني بالفعل، وإلاّ ما كنت تركتك تفعل ما

فعلته.. بعدما انتهيت من قراءة تلك الكلمات الغريبة من الكتـــاب، أمسكت الخنجر وجرحت معصم يدك اليسرى.. ظللت تقطّر بضع قطرات في كل زاوية من زوايا النجمة، ثم صفّيت الكثير من دمــك في نقطة المنتصف.. بعد ذلك سجدت داخل النجمة، وظللت هكذا خمس دقائق كاملة.. عندها ظهر ذلك الشيء.. ليتك أخبرتني يـــا (وسيم).

الشيء

الشيء الذي ظهر لم يكن بشريا بالتأكيد.. لا يوجـــد بـــشري يظهر من العدم هكذا، ولا يوجد بشري بهذا الشكل الغريب.. ظل يتجسد أمامك، وأنت ساجد.. شيئا فشيئا.. كأن جسده مُكوّن من طبقات تتجمع مع بعضها حتى يكتمل..

مُخيفاً؟.. كان مُخيفاً بالتأكيد، رغم أن ملامحه لم تكن تظهر لي بشكلٍ كامل، إلاّ أنني استطعت تمييز الأنـــف الـــضخم، والعينـــان المشقوقتان بالطول، والسواد الذي يملأ العينين.. ذلك الجسد المُشعر، وتلك اليد المخلبية.. والذيل.. الذيل الذي كان يهتز مـــن وراءه في سرعة، وفي كل الاتجاهات.. ظل ينظر حوله في المكـــان، ثم نظـــر إليك.. أقسم أنه ابتسم بجانب فمه، كاشفاً عن صفين من الأســـنان الحادة التي تشبه أسنان القرش.. انحنى ليقترب منك برأسه.. أنفاسه الحارة تصطدم بجلدك.. بالتأكيد أنفاسه كانت حارة، طالما تخـــرج على هيئة دُخّان هكذا.. ثم تحدث أخيراً:

- ماذا تريد أيها البشري؟.

بصوتٍ كأنه يأتي من أعماق بئر سحيقة تحـــدث.. وقبـــل أن تتحدث أنت أضاف هو:

- وتذكر ألاّ تنظر.. من ينظر لا يصبح كما كان.

كنت ترتجف، وتتحدث بصوتٍ خفيض:

- أريد الـــ.. أريد الحياة.. الحياة لمن معي.

هكذا قلت، بينما أراقب كل ما يحدث كأنني كاميرا جامدة، لا تفعل سوى أنها تلتقط ما يحدث أمامها..

رد عليك:

- أنت تعرف أن ثمن ما تطلبه باهظا أيها البشري.

ورددت عليه بأنك تعرف..

كنت أمنع نفسي من السقوط من هول ما رأيت.. يتحرك ليقف أمام الجسدين، ويمد يده لرأسيهما و... هنا نظر للفتحة التي كنـــت أراقب منها ما يحدث.. ووقتها فقدت الوعي.

ماذا حدث؟

ماذا حدث بعد ذلك؟.. لا أعرف.. أفقـــت مـــن إغمـــاءتي، واستندت على الجدار ونهضت.. كان المكان هادئاً للغايـــة كمـــا كان.. تذكرت ما رأيته قبل أن أسقط فاقد الوعي، فهرعت أنظـــر

ثانيةً.. لا شيء.. اتجهت نحو الباب لأجده مفتوحا.. استجمعت شجاعتي، ودخلت.. لا شيء.. الحجرة فارغة، ولكن النجمة الخُماسية كما هي، والدماء التي تغرق زواياها أيضًا موجودة كما رأيتها.. ماذا حدث يا (وسيم)؟.

***

فتحت باب منزلنا، لأجدك نائم على الأريكة، وتراب المقابر يغطي شعرك وملابسك.. أيقظتك بعنف، ففتحت عينك ونهضت وأنت ترتجف.. وقتها نظرت لي نظرة غريبة.. نظرة كانت تسأل:

"أعرفت؟.. بالتأكيد عرفت"..

لا أعرف لماذا لم أوسعك ضرباً وقتها، ولا أعرف إن كان إحساسي نحوك وقتها كان الغضب، أم الشفقة.. ظللنا واقفين ينظر كل منا للآخر.. الدموع تجمدت في عيني، بينما فلتت من عينيك دمعتان.. هُنا سمعنا صوت الطرقات.. الطرقات على الباب.

طرقات هادئة، منتظمة..

كل طرقة كانت تخلع قلبي من مكانه، وتعيده ثانيةً.. ظللنا واقفين، متصلبين ننظر تارة للباب، وتارة لبعضنا.. اقتربت، واقتربت معي من الباب.. أنت تعرف أن باب منزلنا من تلك الأبواب القديمة التي تحتوي على نافذتين من الزجاج (الشُرّاعة) تمكننا من رؤية من بالخارج.. ورأيناهما.. ظلّين يقفان أمام الباب، يطرقان وينادیان في آنٍ واحد:

وسيم.. وسيم..

وقتها لم يسعني إلاّ أن أتراجع، مع دقات قلبي التي تُنذِر بالويـــل، ولكن أنت.. أنت لم تتراجع يا (وسيم).. ظللت تحدق في الـــوقفين بالخارج، وتنظر لي.. ثم فجأة مددت يدك، وفتحت الباب، بـــدون أي مقدمات.. فتحت الباب.. ليتك ما فتحته يا (وسيم).

جسدان مترنحان يدخلان علينا.. جسدان مُـــدثران بالأكفـــان يسيران بحركة آلية نحونا.. لم تتراجع أنت للوراء كما تراجعت أنا.. لم تقف أنت في ذهول كما وقفت أنا.. يتقدمان.. ضـــوء المكـــان يخفت.. يتقدمان.. إظلام تام.. لا أعرف ما حدث تحديـــدًا أثنـــاء ذلك الوقت.. فقط أذكر أنني سمعت صراخك، كأنـــه يـــأتي مـــن أعماق الجحيم.. أذكر أنني جثوت على رُكبتي، ورفعـــت صـــوتي بالدعاء:

اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني علـــى الناس برحمتك يارب العالمين

وأنت تصرخ، كالذي تُنتزع أحشاءة من مكمنها..

- آآآااااااااااااااااااااه

أنت رب المستضعفين وأنت ربي

- آآآااااااااااااااااااااه

إلى من تكلني؟.. إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري؟

- آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه

إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي من ذنوبي.. أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن يحل بي سخطك أو يترل علي عذابك لك العتبى حتى ترضى

ولا حول ولا قوة إلا بالله

***

عندما عاد المصباح يضيء، وجدت ما كنت أتوقعه.. ثلاثة أجساد.. جسدين مُدثرين بالأكفان، وجسد غارق في دمائه، يمتلئ بالخدوش، والجروح.. ثلاثة موتى.

***

لم أكن أستطيع تحمُّل فراقك أنت أيضا يا أخي.. فقط لو أخبرتني قبل أن تقع في كل ذلك!.. كنت سأحاول ردعك، وكنت أستطيع النجاح بالتأكيد.. ولكنك لم تخبرني..

هكذا.. تجدني أحملك على كتفي يا أخي، وفي يدي الكيس البلاستيكي الأسود، وفي اليد الأخرى الكتاب القديم.. أحملك وأتوجه نحو المقابر.. لماذا لم تخبرني بربك يا (وسيم)؟.. أنت كان لديك شخص لتخبره.. ولكنك لم تفعل.

أما أنا فلا يوجد لدي من أخبره حتى يردعني..

الفهـــــــرس